السنة الخامسة عشرة   العدد ٣   آذار   ١٩١٢

المشرق

رسولا الخير العام في مدينة السلام

لمة تاريخية للاب لويس شيخو اليسوعي (*

انَّ للرهبان الغربيين من الايادي البيض على جميع انحاء الشرق ما تنطق به ألسنة العموم وتصرّح به جميع الآثار الباقية منذ القرون المتوسطة الى يومنا الحاضر فكأنَّ الغرب اراد ان يُبدي شكرهُ للشرقيين عمَّا نالهُ من فضل رهبان الصعيد والشام والجزيرة واليونان الذين هاجروا منذ القرن الخامس للبلاد الى جهات اوربَّا ونشروا العيشة الرهبانيَّة في اعمال ممالكها المتنصرة. فما فتئ الغربيون ان جاروا في تلك الحلبة المقدسة اخوتهم الشرقيين. ولم يزالوا يترقُّون في معارج الكمال حتى رأوا ما صارت اليهِ الاقطار الشرقيَّة من التقهقر بانتشار البدع فحملتهم الغيرة على ان يمدُّوا الى اهليها يد المساعدة فأتى منهم فئات متوالية من بندكتيين وكرمليين وفرنسيسكان ودومنيكان ويسوعيين وكبوشيين ولعازريين خدموا بلادنا اصدق خدمة بغيرة لم تعرف الملل ونزاهة يشهد لها كل الرواة الموثوق بهم. ولكلّ هذه الرهبانيَّات من المبرَّات والمساعي الخيريَّة ما لو جُمعت اخبارهُ لأتت على عدَّة مجلدات ضخمة

وقد امتازت الرهبانيَّة الكرمليَّة منذ سالف الاعصار في محبة الشرق وخدمة

---

*) استندنا في روايتنا لاعمال هذين المرسلين الى معلومات واسعة منها خطيَّة ومنها مطبوعة لمن عرفهما حقَّ المعرفة راجع الكتاب Quarante ans à son Poste par Ordep والمقالة Un missionnaire médecin par Ordep

اهله واذ انتمت الى ذلك النبي الغيور ايليّا الذي لم تمحُ الدهور آثار فضله في فلسطين والسامرة والجليل اتخذته ايضاً كنائها في الدعوة الى الله والدفاع عن الدين

وليس قصدنا هنا ان نتتبع تاريخ رهبان الكرمل على الجبل المقدّس الذي انتسبوا اليه وانما اخترنا فقط زهرتين حديثتي العهد نجنيهما من تلك الحديقة الغنّاء وكلتاهما نشرت نفحة طيبها الذكيّة في حاضرة العراق فعطرت مدينة السلام بأريجها نريد بهما رجلي الصلاح والفضل الاب ماري جوزف والاب داميان

*

في اواسط القرن السادس عشر قامت في اسبانية امرأة شريفة ازدانت بكل المواهب الطبيعيّة وجمعت في نفسها مزايا العقول السامية والقلوب المتقدة حبّاً لله تُدعى تريزيا. فهذه انتدبها الله لاصلاح رهبانيّة الكرمل التي كان طرأ عليها لطول الاجيال شيءٌ من الفتور الروحي والتراخي في حفظ قوانين اجدادها الصالحين فبعد ان اصلحت اديرة الراهبات وتجشمت لبلوغ غايتها اعظم المشاقّ حاولت اصلاح الرهبان ايضاً بمساعدة قديس عظيم لشبهها فضلاً واقداماً وهو القديس يوحنا الصليبي فاتمّ الله على ايديهما ذلك المشروع الجليل وظهرت الرهبانية الكرمليّة في مجلى جديد من الجبارة والغيرة

وكان من ثمرة ذلك الاصلاح أن طلب بعض رهبان الكرمل من الحبر الاعظم اقليميس الثامن ان يجعل لهم سهماً في التبشير بالايمان المسيحي في اقطار الشرق. فسرّ قداسة البابا لطلبهم وعيّن لهم بلاد العجم ليزرعوا فيه بذور الايمان ويبشروا بين نصارى تلك البلاد من ارمن ونساطرة ويعاقبة حقائق الدين القويم

وكان المرسلون الاوّلون من بلاد ايطالية فخرجوا من رومية في اواسط تموز سنة ١٦٠٤ وكان امام الاحبار تسهيلاً لامورهم جعلهم سفراء دولته الى شاه العجم عبّاس الاوّل المعروف بالكبير وسلّمهم رقيماً بخطه مع هدايا فاخرة يقدّمونها الى الشاه وكذلك آزرهم برسائل ملوكيّة بخطي امبراطور النمسة رودلف الثاني وملك بولونية سجسمند. فكانت نتيجة هذه السفارة ان احتفى الشاه عبّاس بالوفد ورخّص للمرسلين بالسكنى في حاضرة اصبهان ومنحهم ملكاً يبنون لهم فيه داراً لاقامة فرائضهم الدينيّة

وكانت وقتئذٍ مملكة العجم تتناول جهات الافغان الى حدود الهند جنوباً وتمتدُّ شمالاً وغرباً الى انحاء الموصل وكانت البصرة وبغداد من جملة املاكها. فما ثبتت قدم المرسلين في اصفهان حتى انجر احدهم الى اوربة واسعر في قلوب اخوته نار الغيرة لفلاحة كرم الرب في العجم فعاد وبرفقته مرسلون جدد اقتسموا انحاء بلاد فارس لخدمة نفوس اهلها فاحتلُّوا هرمز وشيراز وبندر عباس وهمَدان ولنگه وجُلفة

ثم تقدّموا الى العراق فسكنوا اوّلاً مدينة البصرة سنة ١٦٢٣ بهمّة احدهم المسمّى الاب باسيل فاخذوا يدعون الى الايمان قوم الصابئة المندائيين المعروفين ايضاً بنصارى مار يوحنا (١ فردُّوا منهم كثيرين الى الدين الكاثوليكي وازهرت رسالة البصرة بهمّة المرسلين حتى ان لويس الرابع عشر ملك فرنسة منح رؤساءها رتبة القناصل بقرار رسمي امضاهُ سفيرهُ في الاستانة في تاريخ ٢٧ شباط سنة ١٦٧٧ فتولّى اعمال القنصليّة منهم احد عشر رئيساً

امّا بغداد فتأخر دخول المرسلين اليها حتى القرن الثامن عشر لما انية الرهبان الكرمليون في طريقهم من العقبات بعد الحروب التي انتشبت بين الدولة العثمانية والعجم فاستولى السلطان مراد الرابع على بغداد ولم يسمح ولاتها للمرسلين ان يدخلوها. وبقي الامر على ذلك الى سنة ١٧٢١ حيث أُنشئت رسالة بغداد. فنال ايضاً رئيسها «الاب عمانوئيل دي سنت البار» منصب القنصليّة الفرنسويّة سنة ١٧٤١. وبعد قليل ازدهت هذه الرسالة كرسالة البصرة لا سيا برجوع النساطرة الى حجر الكنيسة الرومانيّة وسار المرسلون الى جهات الموصل فاشتغلوا ايضاً بدعوة النساطرة الى الكثلكة فلم يخب مساعيهم فرجعوا منهم ٤٧٠ بيتاً لكنهم عادوا بعد قليل الى بغداد وسلّموا رسالة الموصل سنة ١٧٥٠ للآباء الدومنيكان

وكان الكرسي الرسولي منذ السنة ١٦٢٢ رأى حاجة بلاد العجم والعراق الى قصّاد رسوليين يهتمّون بشؤون اهلها فاختار البابا غريغورس الخامس عشر احد الآباء الكرمليتان لهذه الرتبة وهو السيد طيموثاوس بيريز (Tim. Pérez) الاسباني. ثم صارت من بعده قصادة بابل تحت نظارة اساقفة فرنسويين اشتهر منهم ثلاثة

١) اطلب في المشرق (السنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٣) مقالات حضرة الاب انستاس الكرملي في هذه الشيعة

رجال كان اولهم السيد جان دوڤال (J. Duval) وكان من الرهبانية الكرمليتانيَّة يُدعى فيها برنرد دي سانتا تريزيا (١٦٣٨ — ١٦٦٦) فهدى الى نور الايمان عدداً عديداً من النساطرة والارمن الغريغوريين وغيرهم. ثمَّ خلفهُ رجل مفضال كان من الاكليروس العالمي وهو السيد فرنسوا پيكه (Fr. Picquet) الذي تقلَّد رتبة قنصليَّة فرنسة في حلب ثم زهد في الدنيا واندرجَ في سلك الكهنوت حتى وقع عليهِ الاختيار للقصادة الرسولية في بابل فسافر الى بغداد لكنهُ لم يستطع ان يدخلها فسكن همدان القريبة منها وبها توفي في رائحة القداسة في آب من السنة ١٦٧٥.

واشتهر في القرن الثامن عشر الاب الكرمليتاني عمانويل السابق ذكرهُ فعهدت اليهِ رومية القصادة الرسولية فلما سُيِّف عُرف باسم عائلته فدُعي بالسيد باليه (E. Baillet) فاستنفد الوسع في خير اهل العراق وأنمى بهمّته عدد قطيعهِ نموًا عظيماً. ومات سنة ١٧٧٣ شهيد محبتهِ في خدمة المطعونين (المشرق ١٩٠٩ ص١١)

ثم بقيت قصادة بابل منسيَّة لا حلّ وقتئذٍ بالكرسي الرسولي من المحن حتى استأنف تدبيرها السيد كوپري (Pierre — Alexandre Coupperie) سنة ١٨١٩ وربح شكر الاهلين بنشاطهِ واعمالهِ المبرورة. مات ايضاً ضحيَّة محبتهِ في خدمة المطعونين سنة ١٨٣١. ثم خلفهُ كاتب اسرارهِ السيد ترويش (Trioche) وهو اوَّل اسقف في بغداد عُرف رسمياً بقاصد رسولي على ما بين النهرين والعجم. ثم استعفى فخلفهُ السيد انطون مرسياي (A. Merciai) الدومنيكاني (١٨٥٠). ثم السيد مبارك بلانشه (B. Planchet) اليسوعي (١٨٥٢) ثم السيد هنري امانطون (H. Amanton) الدومنيكاني (١٨٥٩) ثم السيد نيقولا كاستلس (Nicolas Castells) الكبوشي (١٨٦٤) ثم السيد لويس ماري ليون (L. M. - Lion) الدومنيكاني (١٨٧٤) ثم السيد هنري ڤكتور التماير (H.V.Altma - yer) الدومنيكاني (١٨٨٤) ثم السيد الحالي هنري درور (Mgr. H. Druhr)

امَّا الرسالة الكرمليَّة فانها بقيت متواصلة بعد انقطاع القصَّاد عنها لكنها خملت وضعفت نوعاً. وكانت انتقلت الى ايدي مرسلين ايطاليين فبقيت تحت نظارتهم الى اواسط القرن التاسع عشر. وممَّا يُخبِرهُ اهل بغداد عن احد رؤسائهم الاخيرين الاب الفونس انهُ رأى سنة ١٨٤٥ عدوى الهواء الاصفر تفتك بدار السلام فتكاً ذريعاً.

ففي ٣٠ ايلول تضرَّع الى الله ان يكفَّ عن الحاضرة وطأة الداء وقدَّم نفسهُ فداء عن الجميع في الذبيحة المقدَّسة فأوحى الله اليهِ انهُ استجاب ملتمسهُ فأعلن لجمهور المؤمنين ان العدوى لن تعود تضرب احدًا من الاهلين ولكن سوف يموت رجل عزيز عليهم . فتمَّ الامر في غد ذلك النهار بوفاة الاب النونس وانقطاع الهواء الاصفر بغتة عن بغداد

تلك كانت حالة رسالة الآباء الكرمليتان في اواسط القرن المنصرم اذ حكم المجمع المقدس باعادة تدبيرها الى الرهبان الفرنسويين وبعودتهم دخلت الرسالة في طور جديد . وانما كان ذلك خصوصاً بهمَّة المرسَلين الصالحين العاملين اللذين تولينا نشر اخبارهما ليعرف الشرقيون ما لهما من الفضل عليهم ويخلّد البغاددة قبل الكلّ ذكرهما الطيب على صفحات قلوبهم فلا يفرقوا بينهما وقد اجتمعا في خدمتهم السنين الطوال فتنى الواحد بصلاح نفوسهم والآخر بعلاج مرضاهم وتفانى كلاهما في سبيل خيرهم العام

١ الاب ماري جوزيف

في جنوبي فرنسة مقاطعة شهيرة يخصها كان يعمّها سابقاً اسم بلاد غسكونية وهي اليوم مقسمة الى عدَّة معاملات منها معاملة « تَرْن وغارون » باسم نهرين يجريان في وسطها ثم يصبّان في نهر جيروند المنتهي الى الاوقيانوس الاتلنتيكي في جهات بوردو احدى حواضر فرنسة

ففي تلك العاملة في قرية عامرة تدعى لاماجيستار (La Magistère) قريباً من آجان (Agen) ومنتوبان (Montauban) ولد سنة ١٨٣٠ غستاف كنسل (Gustave Cancel) بطلنا وكان مولدهُ في ١٦ حزيران وهو يوم عيد احد رسل فرنسة الشهيرين في القرون المتأخرة ومواطنه القديس فرنسيس راجيس اليسوعي الذي يقصد قبرهُ في ذلك اليوم الوف من الزوّار ينالون بشفاعته العجائب المثبتة بثقتهم في فضله عند الله

وكان اهل غُستاف من الملّاكين يستثمرون ملكهم بشغلهم الخاص فيعرفون

بملاتهِ. على انَّ دينهم كان اوفر من دنياهم فسعى ابواهُ بحسن تربيتهِ وعُنيت أُمهُ خصوصاً بان تطبع في قلبه روح التقى والبرارة فنشأ الولد ورعاً تقياً كما شاءت

وكان الولد مع نقاءه ثاقب العقل متوقد الذهن لا يصعب عليهِ شيء من تعاليم المدرسة فأتقن بوقت قليل مبادئ القراءة والكتابة والحساب وشرع يتوق الى ما هو اسمى وارفع. ووافق شبابهُ شبوبَ الحرب بين فرنسة والامير عبد القادر فكان يرى الجند في بلدتهِ ليسيروا الى الجزائر ثم يسمع بوقائعهم ومآثرهم فيتمنى ان يكتسب الشرف بينهم

الّا انَّ الله كان يعدّ قلب الصبي لاحراز مجد اعظم من المجد العالمي. فانهُ لمَّا ترعرع واراد التقدُّم في العلوم ارسلهُ ابواه الى مدرسة آجان (Agen) الأكليريكيَّة حيث انقطع لدرس الآداب والفلسفة. وفي غضون دروسهِ قدم الى آجان رهبان كرمليون اتخذوا لهم ديراً سكنوه فقدَّسوهُ بعيشتهم النسكيَّة وفضائلهم السامية حتى انتشر عرف برارتهم في تلك الانحاء. وقصدهم الشبان ليحذوا حذوهم ويتأسوا بامثالهم

فكان غستاف من جملة الذين سمعوا صوت الله في قلبهم فطلَّق العالم واباطيلهُ وطلب الانضواء الى رهبانيَّة الكرمل فاجاب الرؤساء الى ملتمسهِ في حزيران من السنة ١٨٥١ وعمرهُ اذ ذاك احدى وعشرون سنة فدُعي باسم رهباني جديد وهو «ماري جوزف دي جيزو» (Marie-Joseph de Jésus) فجمع في تسميتهِ الطف الاسماء واشرفها «يسوع ومريم ويوسف

قيل انَّ الفرنسوي طُبع على طلب الامور العظام فلا يرضى بالدون ولا الخمول فاذا قصد شيئاً اندفع اليهِ بكل قواه لا يثبطهُ عن نوالهِ عائق. فذلك ما نواه الاخ ماري جوزف منذ لبسهِ الاسكيم الرهباني فانهُ وجه نظرهُ الى اسمى الفضائل واقصى الكمال فتأسس اوَّلاً على السنن الرهبانيَّة والفرائض النسكيَّة ثم انقطع الى العلوم الدينيَّة حتى برع فيها لكنَّ اميالهُ كانت تجذبهُ الى فلاحة كرم الرب في الرسالات الاجنبيَّة ليقتاد الضالّين الى سبيل الخلاص

فلمَّا كان في كركسّون يدرس اللاهوت مع اخوتهِ الرهبان كشف رؤساءهُ برغبتهِ فوعدوهُ بتلبية طلبهِ عند نهاية دروسهِ وكذا تمَّ الامر سنة ١٨٥٦ فانَّ الرئيس العامّ على الرهبانيَّة الكرمليَّة الاب «نوال دي سانتا حنة» (Noël de S^te Anne) رخصهُ بالرحلة الى الشرق لينقطع هناك الى اعمال المرسلين في خدمة النصارى

فتلقّى الاب ماري جوزف هذا الامر بملء السرور وما لبث ان ابحر في مرسيلية مع مرسلين آخرين من رهبانيته الى الاسكندرية مارّين على جزيرة مالطة ثم اجتازوا الى يافا فزاروا الاراضي المقدسة وانعشوا قلوبهم بمعاينة الامكنة التي تجوّل فيها ابن الله بصنع الخير وانتقلوا اخيراً الى دير الكرمل في اوائل سنة ١٨٥٧ حيث قضى الاب ماري جوزف تلك السنة ليستعدّ لاعمال الرسالة في ذلك الجبل الجليل الذي قدّسه كثيرون من الانبياء الكرام كايليا والنبيّ والقديسين العظام كالقديس بروكرد والقديس سمعان ستوك من اجداد رهبان الكرمل فطرّ نفسهُ برائحة قداستهم واضرم قلبهُ بلهيب غيرتهم في تلك العزلة البعيدة عن ضوضاء العالم القريبة من الله وبين اخوة لا همّ لهم غير خدمة خالقهم

وفي غضون السنة طلب المجمع المقدس من رئيس الرهبانية الكرملية ان يجعل رسالة بغداد في ايدي المرسلين الفرنسويين فاجاب الى رغبته وعيّن الابوين «كاشيه» دي سنت ماري «والاب ماري جوزف ليقوما بهذا العمل وكان الامر قد اتاهما في اواخر تشرين الاول فما برحا ان تأهبا من وقتهما للسفر. وكانت الطريق في ذلك العهد شاقة تتقطع مع القفول في اقفار تكثر فيها الاخطار وتلصّص الاكراد وغزوات العرب وذلك في اوائل الشتاء القارس البرد فقاسيا من اتعاب السفر ما لا يصفهُ لسان لاسيما الاب كاشيه الذي كان طاعناً في السن حتى بلغا اخيراً دار السلام في ٦ ك ٢ سنة ١٨٥٨

كانت بغداد بعد الحروب المتوالية التي وقعت بين الدولة العثمانية ودولة ايران في القرن الثامن عشر فقدت كثيراً من رونقها السابق حتى صحّ القول فيها انها صارت اثراً بعد عين نُهبت مراراً وصارت أكلة لمطامع بعض اعيان الدولة وافنى الطاعون والهواء الاصفر قسماً من اهلها وكان الولاة يتناوبون عليها بسرعة فلا يطلبون غالباً الّا الاغتناء من تجارها بالحرق والجور

لكنّ هذه الحالة السيئة اخذت تتحسن نوعاً في عهد السلطانين محمود الثاني وعبد المجيد فدبّرها ولاة ذوو حزم وتراهة اعادوا اليها شيئاً من رقيها السابق لاسيما داود باشا (١٨١٤ — ١٨٢٦) وخلفهُ علي باشا (١٨٣٩ — ١٨٤٣) الذي ضُرب

المثل بكرمهِ الحاتمي ثم كوزلكلي محمد رشيد باشا (١٨٥١ — ١٨٥٦) من افضل الولاة واعظمهم شأناً وارغبهم في خير العموم

وكان المتولي على دار السلام لمّا وصل اليها المرسلان الفرنسويان السردار اكرم عمر باشا الذي تعقّب آثار غزاة العرب فكسر شوكة القبائل التي كانت تقطع السابلة في جهات الفرات الى نواحي دير الزور. ثم سار الى محاربة عشائر الاكراد الذين عدلوا الى العصيان على المملكة وما كاد يكبح جماحهم حتى استدعتهُ الدولة وعهدت بولاية بغداد الى مصطفى نوري باشا. فاستقبل عمر باشا الراهبين بكلّ انس ومدح زهدهما واكد لهما بانهُ يرعى جانبهما مثنياً على من تقدَّمها في بغداد من المرسلين الكرمليين

فشرع المرسلان مذ ذاك الحين يشتغلان في خدمة نصارى بغداد الذين عددهم لم يتجاوز وقتئذٍ الفي نسمة وكان اكثرهم كلداناً وسرياناً من ابناء اولئك النساطرة واليعاقبة الذين ردَّهم اخوتهم في القرن السابق. وكان هؤلاء المؤمنون مع قلة ذات يدهم مزدانين بالتقى وسائر الفضائل المسيحيَّة لم يشوّه سذاجة طباعهم روح التمدُّن العصري

واوّل ما باشر بهِ الابوان درس اللغة العربيَّة ليحسنا الكرازة بتلك اللغة. على انَّ الاب كساڤيه لتقدُّمهِ في السنّ رأى نفسهُ عاجزاً عن الامر فكان يلقي المواعظ في الافرنسيَّة فيترجمها احد السامعين وبقي على ذلك الى سنة ١٨٦٢ حيث استدعاهُ الرؤساء من بغداد ليقلّدوهُ اعمالاً غيرها. اما الاب ماري جوزف فانَّهُ مع قلة معرفتهِ بالعربيَّة وطَّن نفسهُ على التكلّم بها حتى امكن البغادده ان يدركوا معاني اقوالهِ بل صاروا بعد زمن يتلقون عظاتهِ بارتياح وربما اثَّرت خطبهُ في قلوبهم حتى انَّ الدموع كانت تجري مدراراً من عيونهم بل تُسمع زفرات نحيبهم ندامةً على خطاياهم

وكان وافق وصول المرسلين الى بغداد تعيين قنصل فرنسوي عليها المسيو اوجان تستو (Eugène Tastu) الذي كان قدوة لنصارى بغداد بتدينه وسمو فضائلهِ وكان للمذكور والدة اشتهرت في الكتابة تُدعى السيدة أمابل (Amable) فألفت التآليف الشائعة بين ادباء وطنها وكانت ربّت ابنها احسن تربية حتى انَّهُ حبّاً بها لم يشأ ان يقترن بالزواج ليخدمها في اواخر أيام حياتها لمّا فقدت البصر فكان

بِرُّهُ بامهِ يؤثر بالجميع ايَّ تأثير فيرافقها حيثما سارت لاسيا الى كنيسة الآباء الكرمليين فيتقربان معاً كل يوم احد من المائدة المقدَّسة

ومع انَّ الاب ماري جوزف بقي وحدهُ بعد سفر الاب كساقيه فلم يقصِر عن اتمام كل واجباتهِ الكهنوتيَّة واعمالهِ الرسوليَّة بل كان يعود المرضى ويوزع الاسرار على المؤمنين ويراقب تعليم الاحداث في مدرسة الدير ويعدُّهم لقبول القربان الاقدس بل جعل يعلمهم اللغة الفرنسويَّة التي زاد الاقبال عليها بعد حرب القريم

وفي السنة ١٨٦٣ عزم الاب ماري جوزف ان يزور البصرة ومدينة عمارة فركب الباخرة الانكليزيَّة التي تسير كل اسبوع من بغداد الى البصرة فوجد هناك دير رهبانهِ القدماء. وكان المرسلون لا يزالون يشتهون بشوق اهلها اذ جعلوا معاشاً لاحد كهنة الكلدان ليقيم الرتب الدينيَّة في كنيستهم ويعلّم اولاد البصريين فثبَّت الاب ماري جوزف الكاهنَ على عملهِ وزار اهل البلد والقى عليهم المواعظ

ثم عاد الى بغداد مارًّا على مدينة عمارة وهي مدينة حديثة على ضفة نهر دجلة يسكنها اولئك الصابئة او الصابئيون الذين اهتمَّ رهبان الكرمل قبلًا بجذبهم الى الدين المسيحي فاجتمع الاب ماري جوزف بشيوخهم واظهر لهم من التعطف ما قرَّبهم منهُ فكان يؤمل مذ ذاك الحين ان ينتذهم من الضلال فقصد لهذه الغاية ان يفتح هناك منزلًا لرهبانيتهِ

على انَّ الاب ماري جوزف تحقق ان اتساع دائرة اعمال الرسالة كان يقتضي عددًا اوفر من المرسلين ليساعدوهُ في حصاد الزرع الجيد فلم يرَ لذلك وسيلة الَّا بان يسافر الى اوربة باذن رئيسهِ العام ليدعوا فعلة جددًا الى فلاحة كرم الرب ويستدر حسنات المؤمنين لخدمة الشرقيين

ففي اواسط شهر كانون الثاني من السنة ١٨٦٤ امتطى الاب ماري جوزف ناقة واكتسى بثياب اهل البادية ورحل من بغداد في رفقة جمَّال متوجهاً الى دمشق. وقد دوَّن تفاصيل تلك الرحلة التي استغرقت خمسة وعشرين يوما طاف في اثنائها البراري وتجشم الاخطار

ومما اخبر بهِ انهُ مرَّ باخربة برج بابل المعروف في العراق ببرج نمرود فرقي الى اعلاهُ ودسَّ في اطلالهِ ايقونةً للعذراء الطاهرة طالباً منها ان تبارك سفرهُ وتهديهُ الى

مرسل من رهبانيته يشاركهُ في خدمة آل بغداد ووعدها اذا اجابت الى دعوته بان يقيم هناك تمثالاً لذكرها فلم يكذب ظنهُ في ملكة السماء كما سترى

والتقى في طريقه بقبيلة غريبة الهيئة عجيبة الاحوال تعيش في الصحاري بصيد الغزلان وتمتاز عن عرب البادية بأخلاقها الطيبة وعاداتها السلميَّة ألا وهي قبيلة الصُّلَيب (١ التي رحبت بالمسافر وضافتهُ في خيامها يومين

ثم توغل في تلك الصحاري فخرج عليهِ العربان غير مرَّة وحاولوا سلب مالهِ وضبط ناقتهِ الَّا انَّ الراهب الصالح كان يتردَّد اليهم فيكاد يسحرهم بجودة طباعهِ وخلابة لسانهِ فيذكّرهم بخالقهم ويشير اليهم بما يفيدهم في المعاش وتدبير اهلهم فكانوا يستعذبون كلامهُ ثم يردُّون له ما سلبوه بل يرافقونهُ في طريقهِ لئلّا يصيبهُ سوء فكان يسير بينهم وفي ايديهم الرماح كأنَّه قائد عسكر بين حاشيتهِ

تقضى الاب ماري جوزف سنةً بنيف في اوربة فنال بركة الحبر الاعظم بيوس التاسع ثم تجوَّل في انحاء فرنسة فعرض لمواطنيهِ حاجات الرسالة البغدادية وبيَّن ما لها من العلاقات مع الدولة الفرنسويَّة منذ القرن السابع عشر فكان المحسنون يسرعون الى مساعدتهِ بالهم

ولمَّا طلب بين اخوتهِ الرهبان الكرمليين من يتبعهُ الى العراق كان لدعوتهِ صدى في قلوب بعض الدارسين الذين وعدوهُ بان يأتوا لمؤازرتهِ عند تتمَّة دروسهم فبرُّوا بمواعيدهم التي قاموا بها بعد ذلك. وزاد سرورهُ اذ لقي في ليون رجلاً كان اتقن فنَّ الطبابة ونال الاجازة فيها فدخل في رهبانيَّة الكرمل وكان يدعى داميان وهو على وشك قبول الكهنوت فهذا اذ سمع الاب ماري جوزف يصف احوال العراق وعلم بعظم حاجة اهل بغداد الى طبيب ماهر يكون مرسلاً روحياً معا قدَّم نفسهُ لمرافقتهِ الى مدينة السلام

فعلم الاب انَّ البتول مريم استجابت صلاتهُ فطلب من جمعيَّة سيدة النصر (N. D. des Victoires) في باريس بان يكرموا عليهِ بتمثال العذراء لينصبهُ كما

١) اطلب وصف الصُّلَيب للاب انستاس في المشرق (١ : ٦٧٢) وفي مقالة رحلتنا الى بادية تدمر (المشرق ١٩٠٦ ص ٩٥٧)

وعد على انقاض برج نمرود فاهدوهُ شخصاً من شبه البرونز وكتبوا عليهِ « انَّ اخوة سيدة النصر قد اقاموني فوق برج بابل بيد حضرة الاب ماري جوزف المرسل الكرملي في بغداد ». فاسرع المرسل عند مرورهِ في المكان بان يبدل الايقونة التي خبأها هناك من هذا التمثال الجميل مع صغر حجمهِ فبقي هناك مدَّة لكنَّ عرب البادية اكتشفوهُ بعد زمان وظنُّوهُ اثرًا قديمًا فباعوهُ لاحد محبّي العاديات في بغداد فاتى بهِ المذكور الى الاب ماري جوزف ليريهُ كما قال « تمثالًا عريقاً في القدم » وكان الصدأ قد علاه. فعرفهُ الاب ماري وقصَّ للرجل قصتهُ واقرأهُ الكتابة التي عليهِ ثم اخذه منهُ ونصبهُ فوق قبة الجرس في كنيسة المرسلين في البصرة

حدّث ولا حرج بفرح البغاددة لدى مشاهدتهم الاب ماري جوزف عائدًا من اوربة ومعهُ مرسل متطبب يعالج مرضاهم ومسقوميهم. وكان الجمع المقدَّس عيَّن في اثناء ذلك نائبًا رسوليًا على رسالة بغداد الاب كليمنت الكرمليتاني فكسبت الرسالة بكل هؤلاء حياةً جديدة واخذ اصحابها يُعنون بتوطيد اعمالها وتوفير اشغالها

وكان الاب ماري جوزف قُطب هذا الاعمال وسندها يقرُّ لهُ الجميع ببذل الذات والتفاني العظيم. ومن مساعيهِ الطيبة وقتئذٍ مباشرتهُ ببناء كنيسة واسعة تكفي لاهل بغداد نال لتشييدها من الباب العالي فرمانًا مؤذنًا بذلك تاريخهُ ذو الحجة سنة ١٨٦٦ . فاقيمت حفلة شائقة بحضور قنصل دولة فرنسا بليسيه دي رينيو (Pellissier de Regnault) واعيان بغداد الاجانب والوطنيين مع اكليروس الطوائف الكاثوليكيَّة لوضع الحجر الاوَّل لتلك الكنيسة في ٢٠ أيار سنة ١٨٦٦ يوم عيد العنصرة

واذ رأى الاب ماري جوزف انَّ النفقات لا تفي باتمام هذه البيعة استأنف السفر الى اوربَّة لجمع من ذوي الاريحيَّة والكرم ما سدَّد كلفتها. وكان ذلك في سنة ١٨٦٦ . وفيها استعفى الاب كليمنت من نيابة الرسالة فعهد الجمع المقدَّس بهذه المهمَّة الى الاب ماري جوزف فرجع الى بغداد وهو مرتبط بروابط جديدة زادتهُ غيرة وعناية. وبعد سنتين انجز بناء الكنيسة التي عُدَّت طرفة من طُرف العراق اذ يبلغ

طولها ٣٤ متراً وعرضها ١٦ م وعلوّها ١٣ · وكان تدشينها الاحد السابق لعيد الميلاد سنة ١٨٧١ بعد ١٥٠ سنة لفتح الرسالة الكرمليّة في بغداد

فما لبثت الكنيسة الجديدة ان صارت مركزًا لكثير من الاعمال الرسوليّة والرياضات التقويّة والاخويات للرجال والنساء والاحداث

ثم افرغ الاب ماري جوزف كنانة جهده في تحسين حالة مدرسة الرسالة فوفّر عدد معلميها ووسع نطاق دروسها وتعلم لغاتها من عربيّة وافرنسيّة وانكليزيّة وتركيّة حتى عُدّت في مقدّمة مدارس الحاضرة وزاد في ابنيتها ما يليق براحة الاحداث وترويح افكارهم · بل عُني بانشاء جميّة للشبّان يجتمعون في اوقات معلومة ليتكاتفوا في عمل الخير ويتدربوا بالاتحاد

ثم وجّه الاب ماري جوزف فكره الى بقيّة الرسالة فابتنى سنة ١٨٨١ كنيسة جديدة في البصرة والحق بها مدارس للفتية والفتيات

وفي السنة ١٨٨٤ اقتنى في بلدة « عمارة » ملكاً واسعاً اقام فيه مدرسة وكلّ التعليم فيها الى احد كهنة الكلدان وابتنى معبداً للسكان النصارى

ولّما ضاق دير الآباء المرسلين برهبانه في بغداد لم يرَ بدًا من استئناف بنائه على طرز جديد وتوسيع قلاليه ومعاهده جامعاً بين حسن الذوق في الهندسة والسذاجة الرهبانيّة · وكذلك اشترى في ارباض المدينة جنينة يجد فيها المرسلون نصيباً من الراحة في اتعابهم لاسيا في اَبان الصيف الذي يستعر اواره في بغداد فتثقل وطأته على اهلها عموماً وعلى الاجانب خصوصاً

وقد اهتمّ ايضاً بدير « راهبات التقدمة » اللواتي كان اتى بهنّ من مدينة طور في فرنسة القاصد الرسولي السيد ليون (M^gr Lion) فساعدهنّ الاب ماري في تجهيز ابنية داوهن ومدارسهنّ واعمالهنّ الخيريّة

ولم تكن هذا الشروعات لتستنفد همّة رئيس الرسالة الكرمليّة بل كان يتقدّم على كلّ اشغاله تدبير اخوته وخدمة النفوس لا يثبطهُ عن العمل شيء من المتاعب والمشقّات لاسيا في اوقات الحاجة · ففي السنتين ١٨٧٦ و١٨٧٧ اذ فشا الطاعون في بغداد كان اوّل من بادر الى خدمة المطعونين فجازاه الله بان نجى الكاثوليك من ذلك الداء · فلم يحدث بينهم غير حادثين فقط مع كثرة مَن أُصيب حينئذٍ في دار السلام

وكان اهتمامهُ بالفقراء والمعوزين مشهورًا لا يدع فرصةً في سدّ حاجاتهم وتلطيف اوجاعهم . وابتنى لاولادهم مأوى كانوا يجتمعون فيه ويتعلمون مبادئ الدين المسيحي وينالون ما يحتاجون من طعام وكساء . ساعدهُ في ذلك احد رجال الخير في بغداد جبرائيل افندي اصفر الشهير بجزّانه

ومن مآثر غيرته انهُ كان لا يخاف لومة لائم في الدفاع عن صوالح رهبانه والانتصار لحقوق الكاثوليك حتى بازاء رجال الحكومة او متولجي اعمال القنصلية

فهذه الاعمال وغيرها ايضاً لا يسمح لنا ضيق المكان بوصفها استوقفت انظار الدولة الفرنسوية التي احبّت مجازاة ذلك الراهب المعظم بان منحته امتيازاً خصوصياً ووسمته بوسام الشرف (Palmes académiques) فأقيمت لذلك حفلة عظيمة في ٦ كانون الثاني سنة ١٨٩٨ وهي السنة الاربعون لقدومه الى الرسالة البغدادية حضرها رؤساء الطوائف الكاثوليكية والقنصلا فرنسة وروسية ووجوه دار السلام من وطنيين واجانب فقام المسيو روه (M^r Rouet) وخطب خطبة بليغة عدد فيها مآثر الرسالة الكرملية في بغداد وخصوصاً مبرّات رئيسها الفضال التفاني في خدمة الدين والوطن وسلّمه الوسام الشرفي . وورد باسم صاحب العيد في ذلك النهار نبأ برقي من رئيس مجمع انتشار الايمان يفيدهُ ان الحبر الاعظم لاون الثالث عشر يهنئهُ ويباركهُ ويبشرهُ بارسال رقيم يخطهِ . فكان كل جمهور الحضور لساناً واحداً في اطراء ذلك المرسل الشهم وتقدمة التهاني بتلك الامتيازات اللائقة بصاحبها

على انَّ هذه اصوات الثناء لم تكن الَّا صدى وتوطئة للجزاء العظيم الموعود به العبد الصالح الامين اذ يدعوهُ الله للدخول الى فرح سيده . فانَّ الاب ماري جوزف لم يلبث ان شعر بنخس مرض قديم في امعائه كان لا يكترث لهُ فعرف ان ساعته قد دنت فاستعدَّ لها بكلّ تُقى وصبر واقتبل كل اسرار الديانة مع البركة البابوية بيد السيد الحبر القاصد الرسولي فانطفأ سراج حياته بكل هدوٍ في ظهر اليوم الثامن عشر من آب سنة ١٨٩٨ فعدَّ موتهُ مصاباً عمومياً فبكاه كل من عرفهُ من اهل بغداد واسمهُ لا يزال مطبوعاً على صفحات قلبهم يرددونهُ حتى اليوم بالشكر كلما شاهدوا آثار اعماله الخلدة رحمهُ الله واجزل ثوابهُ

٢ الاب داميان

هو رفيق السعيد الذكر الاب ماري جوزف وثمرة ابتهالاتهِ من مراحم السيدة البتول يوم طمر ايقونتها المباركة على انقاض برج نمرود

ولد الاب داميان في سان سنفوريان في معاملة الجيروند (la Gironde) ليس بعيدًا من موطن الاب ماري جوزف سنة ١٨٢٨ من ابوين متوسطي الاحوال وكان ابوهُ يدعى بتاليي (Battailley) فدعي الولد في المعمودية بطرس دزيره فنشأ دينًا ورعًا بين اقارب مشهورين بالفضل والصلاح. ثم أُرسل الى مدرسة بازاس (Bazas) فاتقن فيها دروسهُ الادبية. ثم شعر بميل الى فنّ الطب والعلوم الطبيعية فانتقل الى باريس وانكبَّ على الدروس الطبية برغبة عظيمة ادّت به الى النجاح في الامتحانات السنوية فنال في سنة ١٨٥٤ اجازة الدوكتورية

وكان الشاب الدارس قد حافظ مدة دروسهِ على الآداب الدينية واتخذ الدرس كمِجَنٍ يصونهُ من ضربات الكفر وفساد الاخلاق فعاد الى مدينة بازاس مسيحيًا صادقًا وطبيبًا نطاسيًا فاخذ يتعاطى فنّهُ بكل نشاط فشاع بعد قليل حذقهُ بحسن المعالجة والرفق بالفقراء. واشتهر في الانحاء المجاورة حتى كان المرضى يطلبونهُ بالحاح ثم فكر الطبيب باتليي بان يتأهل فخطب فتاةً من مدينة بوردو وكادت تتم حفلة الزواج اذ فُسِخت الخطبة بغتةً سواء كان السبب بتغيير الابنة فكرها كما قيل او لالهام خاص من الله اراد ان يدعو ذلك الشاب لخدمتهِ زهدًا في الدنيا ورحمةً باهل الشرق كما هو المرجَّح

ومن المقرَّر الشابت انَّ الدكتور طلب الى رئيس الكرمليين في بوردو بان يقبلهُ بين رهبانهِ فعد فحص دعوة الطالب البسهُ ثوب الرهبانية فابدل اسمهُ باسم طبيب عربي شهيد يدعى داميانوس فسمي الاب « داميان دي سان جوزف »

انَّ هذا الانقلاب في حالة الدكتور باتليي اذهل اصحابهُ وظنَّ بعضهم انَّهُ لن يثبت على عزمهِ لكنَّ الشاب الهمام لم يكن من يضعون اليد على المحراث ثم يرجعون الى الوراء بل كان مثلهُ كمثل الرسل الذين تركوا كل شيءٍ لمَّا سمعوا الرب يدعوهم فتبعوه دون تردُّد

ثم ابتدأ الراهب الجديد ان يدرس علم القداسة ليطبع في نفسه الفضائل السامية التي تفوق على كل العلوم البشرية واذ كان الاكبر بين اخوته الطالبين جعل نفسهُ الاصغر فكان بينهم كواحد منهم بل كآخرهم فاذا رآه احد ظنهُ رجلاً خاملاً كبقية المبتدئين وهو لا يشير البتة الى رتبته في فن الطبابة

وبعد ان اتمّ الاخ داميان زمن الامتحانات المألوفة في الرهبانيّة وابرز النذور الثلثة انكبّ على الدروس الدينيّة حتى حصّل منها ما يحتاج اليه في خدمة القريب فنال نعمة الكهنوت وأُرسل سنة ١٨٦٤ الى دير رهبانيته في ليون على تلّ فورڤيار (Fourvière) في ظلّ الكنيسة الشهيرة المبنيّة على اسم السيدة الطاهرة والمقصودة من كل انحاء البلاد

فكان هناك منذ بضعة اشهر مهتماً بالخدمة الدينيّة اذ مرّ بليون الاب ماري جوزف كاسيتو القرل فتعرّف بوطنيّهِ الاب داميان وثبت له انهُ هو الرجل الذي اعدّتهُ البتول لمساعدته في الرسالة البغدادية وانهُ لا يجوز ان يبقى ذلك النور تحت المكيال فاقنع الاب داميان بان يرافقهُ الى العراق ليخصّ نفسهُ بخدمة اهله فيعالج الاجساد ويتوصل بها الى تقديس الارواح

*

قد رأيت كيف تحفّى اهل بغداد بالمرسل الجديد اذ علموا انهُ طبيب قانوني وخرّيج كليّة باريس فلم يسمّوهُ مذ ذاك الحين الّا « البادري (الاب) الحكيم » وتضاعف فرحهم به اذ اعلن للجمهور انهُ مستعدّ ان يعود المرضى في بيوتهم ويستقبل الذين يطلبون خدمتهُ في الدير وكل ذلك مجّاناً لوجه الله

ولم تكن تلك المواعيد كلاماً فارغاً فانّ الاب داميان باشر بهمّته في اوّل اسبوع قدومه الى بغداد مستعيناً بترجمان في فحص المرضى لكنهُ جعل من وقته يدرس العربيّة تسهيلاً للمعاملات مع الجميع

عاش الاب داميان ثلاثين سنة في مدينة السلام كانت حياتهُ في مدّتها متشابهة متساوية اوّل ايامها كآخرها لم يباشر فيها من الاعمال ما يطنطن به الناس وتستعظمهُ الالسنة فما كان خطيباً مفوّهاً او واعظاً بليغاً ولا كاتباً معرّزاً وانّما كان اشبه بزهرة البنفسج العطرة التي تنشر شذاها مختفية بين النبات او

بالحري كان اشبه باحد انهار العراق التي تجري بكل هدو وجلال فتخصب كل البقاع بسيرها او نقول انهُ كان كسيدهِ المسيح الذي اجتاز على الارض يُحسن الى الناس (اعمال ١٠: ٣٨)

وعرف الاب قبل كل انهُ مرسل رسولي وانَّ غايتهُ بمجيئهِ الى العراق انما هي خلاص النفوس كيقيّة اخوتهِ الَّا انَّ دعوتهُ ان يخدم الاجساد خصوصاً بينما يفرغ اخوتهُ وسعهم في خدمة الارواح بالوعظ والتبشير. ومن ثمَّ كان يخص باكورة نهارهِ للاعمال الروحيَّة فيزوّد نفسهُ بالفضائل التي يحتاج اليها في خدمة القريب كالصبر وطول الاناة وصفاء النيَّة ونظر الله في القريب

وكان يقسم نهارهُ ثلاثة اقسام: قسم يقضيهِ في مستوصف الدير ليعاين من يأتيهِ من ذوي العاهات ووصف الادوية التي توافق احوالهم. وقسم كان يقضيهِ في عيادة المرضى الملازمين لبيوتهم. وقسم في تلاّويهِ في الصلاة او في الدرس او التدريس

وكان للاب داميان همَّة في علاج المرضى لا تعرف الملل فكان مستعدًّا في اي ساعة طلبوهُ ليلًا او نهارًا ان يترك كل شيء حتى اكلهُ ونومهُ لتمريضهم وتلطيف اوجاعهم وربما سار في اليوم الواحد مرارًا الى اقاصي المدينة

وكان فضلاً عن همّتهِ لا يراعي الاشخاص في خدمتهِ للمرضى سواء طبقة الفقراء او الاغنياء الصغار او الكبار بل كان يفضّل الفقراء المساكين لعلمهِ بانَّ ذوي الثروة يستطيعون ان يجدوا غيرهُ لحاجتهم

وكذلك كان لا يفرق بين ذوي الاديان فيعود المسلمين واليهود كما يعود النصارى وكثيرًا ما كان يوقفهُ الناس في الطريق ليعرضوا عليهِ ادواءهم او يقودونهُ الى احياء من المدينة لا يعرفها فما كان يتردد في مرافقتهم متمثّلاً نفسهُ منزلة بولس الرسول فيجعلها كُلَّا للكل لِيربح الكلَّ لهُ

وكانت همة الاب داميان تتضاعف في ايَّام العدوى حتى انهُ حينئذٍ كان يواصل الشغل الساعات الطوال فينسى راحتهُ ويعرّض بنفسهِ للمخاطر دون مراعاة لصحَّتهِ فكان الجميع ينسبون سلامتهُ الى عناية خاصة من الله

وكان مع هذا لا يهمل الاب داميان المطالعة ليعرف الاكتشافات الطبيَّة الجديدة فيستفيد منها للمرضى. بل كان يدرس الادوية المفردة التي يستعملها البغدادة

في بعض الامراض على طريقة التقليد وراثةً اباً عن جدّ فاذا رآها نافعةً وصفها للاهلين (١ وكان ايضاً لا يثق بنفسهِ مع علمهِ بل يحبّ ان يفاوض غيرهُ من الاطباء ويستشيرهم وقد شهدوا غير مرّة لبراعته واستندوا الى رأيهِ كالدكتور طولوزان (Dr Tholozan) كبير اطباء شاه العجم الذي زارهُ في بغداد وكان يكاتبهُ ويعتدّ برأيهِ لاسيا في الامراض المعدية كالطاعون والهواء الاصفر وقد ذكرهُ في كتبهِ باسمهِ العالميّ . وكذلك الدكتور بومان (Dr Bawman) طبيب قنصلية بريطانية العظمى الذي كان يكرّر على من يأتيهِ من المرضى انّ معالجات الاب داميان مبنيّة على علم وتروٍّ فانهُ خير طبيب

وكانت ثقة الاب داميان بربّهِ اعظم منها بالادوية الطبيعيّة فكان يذهب الى المرضى وسبحة العذراء في يدهِ والصلاة على لسانهِ فاذا اعتاص عليهِ الداء التجأ الى رب الشفاء وربّما نال بذلك ما ينى من نوالهِ بالعلاج الطبيعي . وقد شهد بعض المرضى انّ صلاتهُ فعلت ما لم تفعلهُ الادوية حتى شاع في بغداد انّ الاب الحكيم يبرئ الاسقام بقداستهِ اكثر منه بادويتهِ . وكان في بعض الاحيان يمزج بالادوية بعض نقط من ماء سيدة لورد العجائبي او يحضّ المرضى على التماس شفاعة البتول الطاهرة او لبس ثوبها فيشفون اذا فعلوا

و كان اهتمام الاب داميان لا ينحصر بالاجساد بل كان يسعى طاقة جهدهِ ان يسعف النفوس ايضاً . فكان في كل زياراتهِ للمقومين يوجه نظرهم الى خالقهم فيعلمهم انّ في يدهِ الصحّة والمرض الشفاء والموت فيُنبض املهم ويرقّي افكارهم ويلهمهم الصبر من اي دين كانوا . اما النصارى فكان يحثهم على تنقية ضميرهم وطلب الاسرار فكان لديهم طبيباً جسدياً وروحياً معاً . والله وحده يعلم كم صالحَ من الخطأة مع ربّهم وكم صبغ من الاحداث بماء العمودية . وكان مثالهُ الصالح يجتذب اليهِ كل القلوب حتى ان كثيرين من اهل بغداد وشبّانها اتخذوه كمرشد لحياتهم الروحية فاصبحوا قدوةً للجميع بسلوكهم المسيحي

١) وقد جرى في ذلك على مثال الاب الكرملتاني « انج دي سان جوزف » المرسل الكرملي في اصفهان في القرن السابع عشر الذي كان وصف الادوية الشائعة في العجم فطبع وصفهُ لها في باريس ١٦٨٠ تحت هذا العنوان : « Pharmacopea Persica »

ومما كان يذكرهُ اهل بغداد بالشكر والثناء تجرُّد الاب داميان ونزاهتهُ فانهُ ليس فقط لم يطلب جزاء عن تعبهِ بل كان يرفض ايَّ هديَّة كانت لا يريد بدلًا عن شغلهِ سوى مجد الله وخدمة البشرية الّا اذا كان احد المرضى الاغنياء يعطيهِ شيئاً للفقراء فكان يقبلهُ كوديعةٍ ولا يلبث ان يوزعهُ على المساكين

ومع وفرة اشغال الاب داميان في علاج اهل بغداد قد ادَّى للرسالة خدماً جليلة بصفة معلّم فكان يدرّس في مدرسة الآباء الكرمليتان الآداب الفرنسويَّة والرياضيَّات كمبادئ الجبر والهندسة وقد اخذ عنهُ عدَّة شبان معارفهم فيشكرون حتى اليوم فضلهُ جهاراً وينسبون اليهِ ما نالوهُ من الرتب

وكان الاب مغرماً بهذه العلوم الرياضيَّة ويحبُّ التعاطي بها في اوقات الفراغ فيحلّ مشاكلها العويصة. وقد ظهر فضلهُ في احدى السنين اذ وقع جدال بين اساتذة مدرسة بغداد العسكريَّة ومعلمي بقيَّة المدارس بخصوص مسألة جبريَّة فعرضوا المشكل على رجل الادب سليمان افندي البستاني احد اعضاء مجلس الاعيان حاضراً ومعرّب الالياذة فاشار اليهم بمراجعة « الاب الحكيم » ففعلوا ولم يلبثوا ان اتَّفقوا جميعهم على حسن فضّهِ للمشكل بطريقة واضحة مستوفية

ومن آثار الاب داميان انهُ خطب غير مرَّة في مواضيع علميَّة في دائرة الشبان الكاثوليك المنشأة في بغداد وكان يختار لابحاثهِ الاكتشافات الحديثة فيدرسها درساً نعماً ثم يعرض على العموم خلاصتها. فخطب في اكتشافات باستور والادواء الميكروبيَّة وعن اكتشافات الدكتور كوخ في السلّ. ودرس خصوصاً المواد السامَّة لمعالجة الملسوعين من الحيات والعقارب والزنابير في بغداد

وقد ارسلهُ رؤساؤهُ الى البصرة والى عمارة والى الموصل لبعض حاجات الرسالة وترويح النفس من تراكم الاشغال فكان يقدّس اسفارهُ بمناجاة الله وخدمة المستومين فيثني الجميع على قدوتهِ الصالحة وبرارة حياتهِ

وبقي الاب داميان سنين طويلة دون مستوصف يستقبل فيهِ الوافدين من المرضى الى ان سدَّ السيد التاير هذا الخلل وفتح مستوصفاً في الدار الاسقفيَّة القديمة سنة ١٨٩٢ وعهد بتدبيرهِ للاب داميان وعيَّن راهبةً تساعدهُ في العمل فلقي في ذلك بعض الراحة. ثم اوصى احد الفرنسويين الاتقياء المسيو اشيل مورا (M^r A.

Murat) ترجمان قنصليّة فرنسة قبل وفاته بان تجعل دارهُ مستوصفاً لفقراء بغداد فجُهزت هذه الدار تجهيزاً تامًّا وأُقفل المستوصف الاوَّل فانتقل اليهِ الاب داميان

لكنهُ لم ينتفع منهُ زمناً طويلاً اذ رآه الله ثمرة جنيَّة تصلح للحديقة السماوية فابتـلي في شهر نيسان من السنة ١٨٩٦ بداء الفالج وبقي لا يكاد يعي حالهِ الى شهر تشرين الاوَّل فمات ميتة الابرار بقبلة الرب في السادس منهُ. فما طار منعاه الى اهل المدينة حتى توارد الوف منهم لنظرهِ النظرة الاخيرة فكانوا يرددون عبارات الاسف على من غمرهم بفضلـهِ وكان كثيرون يجعلون على جسمهِ ادوات تقوية يتبركون بها . وحضر حفلة جنازتهِ جمٌّ غفير يتقدمهم قنصل روسيـة المتولي ادارة قنصليَّة فرنسة في غيبة صاحبها وكان لسان حالهم جميعاً يكرّر آية النبي داود: انهُ لكريم في عيني الرب موت اصفيائهِ ولتمت نفسي ميتة الابرار

فهكذا قضى حياتهما هذان الراهبان الجليلان اللذان اسعدنا الحظ برؤيتهما في بغداد قبل وفاتهما بقليل فليقبلا منَّا هذه الاسطر كدليل على شكرنا وشكر كافة اهل مدينة السلام على فضلهما العميم اجزل الله ثوابهما في دار البقاء. ومتَّع بلادنا بامثالهما

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٧٩ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشرهِ الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

ثم ان الباشا لم يزل يصدر اوامر مكربة . من جملتها ان النصارى لا يلبسوا اخضر ولا زيتي وان الحريم يجعلوا اغطيتهم وملبوسهم اسود الى الشدّ والبابوج . واتفق جماعة فلاحين من الجبل وزعمة متزرّين بحزام صوف اخضر يساوي خمسين فضة . فلما نظرهم الباشا تداخلهُ العجب والانذهال وصار يصفق بيديهِ ويقول: ما هذا الحال ويصير يستعفي من الامام عمر بطاولة النصارى . ثم التفت اليهم وقال: ايش مذهبكم . قالوا: نصارى . فقال: كيف تلبسون اخضر وتتجاسرون على ذلك . فقالوا:

كذا يلبسون بالجبل . فقال: هذا لا يجوز . (154f) يلزم انكم تُسلموا والّا اقتلكم. فن الوهم اثنين منهم اسلموا. واماً الثالث زحلاوي فما ارتضى يسلم فامر بقطع عنقه. فاحكى معهُ الخدام كثيراً وما رضي يفوت (يترك) دينهُ. وقُتل بوقته والذين اسلموا فيا بعد هربوا لبلادهم ورجعوا نصارى

وصار الاسلام والنصارى في كرب شديد من هذه الاحوال حيث كل يوم يجدّ شيٌ جديد. اخيراً اتفق العلماء ان يكلموه عن الخلل الذي حاصل منهُ وانهُ منافي مذهب الاسلام ولا احد سبق اليهِ من الوزراء. وان هـذا لهُ غوائل واضرار ردية. وكلام نظير هذا. فتوجهوا لعنده وكلموه وبجهدٍ كلي حتى اقتنع منهم. واشاروا عليهِ بطرد الشيخ الكردي من عنده. فقبل كلامهم وطرد الشيخ واظهر لطف وعدل وغيَّر كلما كان معتمد عليهِ واطمأنت الناس وارتفع الشلش ومشي الذيب والغنم سواء. ولا احد تعدّى على احد. مسلم نصراني يهودي كلّ في حريتهِ وما عاد قبال وشاية من احد. وتغيرت الاحوال فصارت باحسن حال ولا سيا اهل القرايا رفع عنهم الحوادث والتعدّي. ودائماً يوصي على الصلاة والعبادة والمحبة ثم انهُ قطع خرج جملة عسكر

وبعد ايام تحرك لمحاربة مصطفى برو بطرابلس الذي صدر منهُ مخالفة وعصيان واقتضى يتوجه بنفسه بعساكر وبهمات. وحارب اولاً النصيرية وطيَّبهم (واخضعهم) من بعد محاربة شهرّين ونهب بعض قراهم. وبواسطة مشايخ بلاد عكار تركهم. وان قائدهم صخر يحضر يواجههُ وهذا كان هارباً. ثم قام الباشا لطرابلس وحاصر القلعة اياماً طويلة واخيراً بواسطة سليمان باشا والي عكا الذي اخرج مصطفى برو من القلعة بالامان واخذهُ لعكا وسلّم القلعة ليوسف باشا ورجع للشام منصوراً

وبعده تحرك لضبط سوامات البقاع الذي واضع يده عليهم الامير بشير وابن جنبلاط وهي محلات متسعة ومداخيلها وافرة . ولو انهم يدفعوا المال المرتب عليهم لاربابهم . غير انهُ حاصل قهر وفرق زائد عن حال القديم والمذكورين ضابطين هذه المالكانات (154v) (الاملاك) قوةً واقتداراً. فصار الباشا يناكدهم (يعارضهم) ويريد يستخلص ذلك من يدهم او يصير طريقـة عادلة. فالمذكورين ما ارتضوا بشيء. واعرضوا الى سليمان باشا. والمذكور توسط بينهم وبين الباشا . ولكن المذكور

ما كان يسمع له وما يعمل الّا الذي يريده · وطال هذا الشرّ بينهم وصار شلش وخوف في قرايا البقاع. حتي ان بتلك السنة ما صار زراعة بكل البقاع لان الامير نبَّه ان لا احد يزرع وكان الباشا اعتمد يرسل عسكر لُرحلة ويحرقها ومن الخوف عُزلت تماماً وما بقي غير نقالة الغلة برأي الامير بشير · وهذه الغلة صار ضرر كبير ليوسف باشا لان سليمان باشا اعرض للدولة عن بغي المذكور وتعديه وهو من بخله وحوسته (واغتصابه) اموال الميري نحو ثلاثة سنين ما يرسل للدولة الّا شيئاً زهيداً ودائمًا يدّعي انهُ عمّال يصرف اموال غزيرة لشان تعدي الوهابي على العساكر والمهمات والامر كان خلاف (ذلك). وبالنتيجة ان الدولة تغيرت عليه وسمعوا كلام سليمان باشا وصدر الامر بعزله من ولاية الشام ووكلوا سليمان باشا في طرده وربّما في اعدامه وهو أيكون والياً عوضه. وهكذا عجز تدبيره كان سبب لتدميره

وفي ابتداء سنة الف ومايتين وخمسة وعشرون (١٨١٠م) شاع الخبر ان سليمان باشا قام الى طبريا وطلب الامير بشير و (الشيخ) جنبلاط واظهر لهم الشروع. وتصدر الامير والشيخ لنهم يقدموا من الجبل عسكر وافر وابتدأ يجمع العسكر من طبريا · ويوسف باشا بوقته كان في اراضي حوران لطرد الوهابي الذي كان يسطو ويغزي في بعض قرايا. فعلى حين غفلة شاع وصول سليمان باشا وامراء ومشايخ الجبل مع عساكر كثيرة عسلي (عثمانيّة) وجبليّة الى قرية قطنا. فلما فهم اهل الشام ان المادة تقيلة انوهموا (خافوا) جداً وارسلوا علم للباشا. فحضر حالّا للشام وبالحال قتل متسلمهُ شمشان اغا. يقولوا انهُ جاء له كتابة من سليمان باشا

ثم ان الباشا استعدّ لمحاربة سليمان باشا و (اعلن) ان حضوره تعدي منهُ ليس بامر الدولة. وصار يرسل (155) ذخائر والآت حرب للقلعة. وكان بوقته اغا القلعة سقا احمد ودخل الخوف بقلوب الناس من هذا القبيل وعزّل الميدان واغلب الاسواق. والاعيان انوهموا من هذه الاحوال لان الباشا يقول انني ارسلت إعراض للدولة ومنتظر الجواب. واقتضى انهُ صار ديوان بالسر واجتمع الاعيان واتفقوا على ارسال الشيخ خليل لكونه رجل عالم وفصيح اللسان. فتوجه لقطنا لعند سليمان باشا يعلمهُ عن لسان الجمهور بان يتوقّى (يمتنع عن) الحضور للشام لحينما تحضر جوابات الكتابة من الدولة ليوسف باشا. وانهُ اذا صار عجلة فيحدث خراب كبير حيث ان الباشا ماسك القلعة وملآها ذخائر

وبهات للحرب. فلما وصل الشيخ خليل تكلم بهذا الكلام فكان الجواب من سليمان باشا ان هذا الرجاء لا يتمّ ولا انتظر جواب ولا غيره. لان معي اوامر سلطانيّة يقتضي اتممها. وكان مليح ان يوسف باشا يقدم الطاعة ويوسخ (يوضخ) للاوامر. ثم ان الحواشي مثل مصطفى بربر وكتخ احمد ومحمد اغا ابو نبوت كلموا الشيخ خليل بكلام عالي وازدراء وانهُ معهُ مهلة ثلاثة ايام. فان بقي بالشام فنهجم على البلد بالسيف. فحضر الشيخ واخبر بما سمع. فتخلق الباشا جداً وصار يشتم ويلعن وعزم على المحاربة وارسل عسكر ومدافع الى سهل المزّة وطلع بنفسهِ في تسعة عشر تموز يوم الثلثا ومشي على اوردي سليمان باشا. فلاقاه جانب عسكر خيّالة وحصلت المكافحة بين العسكرين ووقع جانب (بعض) قتلى عسلي ودروز وبعض من عسكر يوسف باشا ولّوا راجعين. القول انهُ حصل خيانة والتّم يرجع يوسف باشا للشام من دون انتصار ولا خذل. ولكن الملحوظ ان الوجه لهُ (انهُ كان انتصر) لو ثبت عسكرهُ. لان الدروز ظهر لهم اشارة خوف وفزع وكانوا ميقنين (موقنين) بالهلاك. وبالصدفة حين هذا القتال حصل هواء شديد واغبار واهوال (الامر) الذي اوجب ارتداد الجهتين عن بعضهم

فلما رجع الباشا للشام اعتمد على الحصار وتشديد الحرب. وكان قبلًا حرر لملّا (155٢) اسمعيل لحلة بان يحضر بعساكر وافرة لمساعدتهِ وكان متأمل الباشا من هذا الوجه يبلغ اربهُ. فنهار الاربعاء في عشرين تموز جاء الجواب من ملا اسمعيل للباشا وبهِ يوهم عليهِ ويتعذّر عن حضورهِ: اوّلًا لا يمكنهُ يظهر عصاوة للدولة. ثانياً يلخص للباشا انك انت ايضاً لا تظهر على نفسك هذا القبيح. والشور (والراي) الحسن يكون التسليم وتبطل المشروع الساعي فيه. والقول ان ملا اسمعيل ارسل الى قواد العساكر سرّاً بان يتركوا ويرفضوا شروع يوسف باشا

فلما فهم الباشا مواربة ملا اسماعيل والخرافهُ عنهُ تداخلهُ الخوف جداً وخشي الهلاك. فعزم على الرحيل من الشام وحزّم الخزنة صناديق وافراد. قيل انهُ بلغ الذهب اثني عشر صندوقاً والبياض عشرة احمال وارسل شيئاً مع زنيل اغا وشيئاً مع سليم بيك مملوكه. فبلغ القواد ذلك فحاشوا (امسكوا) الباشا وهو طالع من باب الهواء. حاشهُ اغا الارناووط. وغيره مسك سليم بيك وطلبوا من الباشا بخشيش

او بوطيل حتى يتركه يخرج . فالباشا تحسب من كلام اغا الارناوط الذي قال لهُ : انني ان سلمتك الى سليمان باشا احصل منهُ على انعام وافرة . فكان جواب الباشا : انني حاسبت كلّاً منكم فاذا كنتم تريدون شيئاً آخر فالمال قدامكم خذوا منهُ ما تريدون . فبالحال قطعوا الحبال فانفرط المال (وبينا) هم مشغولين في لمّ كان الباشا نفذ من الصرايا والعسكر مع بعض من اهل الشام اخذوا الذي قدروا عليه والبعض رموا الصرّ في البحرة بالسرايا والبعض طمروه بالارض . وكل ذلك من خوف الناس من بعضها والامر وقع ليلاً . وحصل مزاحمة مهولة ولكن السبب هو كاني ويخرج الناس تقتل بعضها . وجملة اناس سعدوا من هذه النهبة

فثاني يوم شاع الخبر بذهاب الباشا من البلد مع تبعيته وراح الخبر الى سليمان باشا . والى حصة (وقت) العصر حتى نفذ علم منهُ (١٥٦) بقيام متسلم . وحضر بعسكرو الى قريب بوّابة الله استقام يومين وطلعت لعنده اعيان البلد قاطبة سلّموا عليه . ثم طلب القلعة فما رضي بها احد يسلمها . حتى انهُ ما ارتضى بواجبه الباشا

وبهذه اليومين نزلت الدروز للبلد بالسلاح ومنهم راكبين الخيل امارا (امراء) ومشايخ وعوام . و (صاروا) دايرين بالبلد اجواق اجواق . وقصدوا يدخلوا الجوامع ايتفرجوا . فالاسلام اشمأزوا منهم ومنعوهم من الدخول للجامع الكبير وسكّروا الخانات وصاروا يكبّروا ويهللوا على هذه النادرة الواقعة لاسيا حينا سمعوا من الدروز انهم ملكوا الشام بسيفهم وطردوا يوسف باشا وهلم جرّا

ويوم السبت في ثلاثة وعشرين تموز دخل الباشا بموكب عظيم . اول آلاي كان عسكر دروز وقايدهم الامير بشير ابن قاسم شهاب واخوهُ بشير جنبلاط وجماعته . نزلوا بالمرجة مع الامير بشير حاكم الجبل . واما الباشا فدخل السرايا وبعد يومين حضر حاييم الصراف

﴿ تولي سليمان باشا ﴾ ثاني يوم من دخوله صار الديوان واشتهرت الاوامر السلطانية بولايته وصدر منادة بالبلد « أمن وامان » وراقت الاحوال . الا الباشا انشغل فكرهُ من عصاوة ستّا احمد وارسل لهُ وسائل بالاطاعة . وهو لا يرتضي بل يقول لا أسلّم القلعة بل (الّا) للذي سلمني اياها يعني عن يوسف باشا . وهكذا مضى ايام كثيرة والامور واقفة بينهما حتى ان اهل البلد من بغضهم بالدروز كانوا يرغبون

فتنة تصير بالبلد بواسطة القلعة. ولكن بعد ايام خرج سقا احمد وتوجه للخارج. واستلم القلعة الباشا وجعل فيها آغا عبد العزيز من الصالحية ولكن لا يجعل اقامتهُ داخل القلعة بل خارجها على التخت يتعاطى شغلهُ

ثم ان يوسف باشا راح للاذقية وتحقق انحراف الدولة عليهِ. فمن الوهم نزل في مركب وتوجه لمصر محتمياً عند محمد علي باشا الذي قبلهُ بكل اكرام وكتب بشانهِ للدولة وجاب لهُ العفو والرضى وبقي في مصر كم سنة ومات. ثم ورد قبوجي من الدولة بضبط مالهِ بالشام. فالذي (156 ٭) وجد بعد المنهوب نحو ثمانية الاف كيس من صافي صابون وبعض اشيا كان يتعاطاها

ثم بهذه السنة جرى ثلاثة اشياء حصل منها مخاسر للناس: اولها المناداة على المعاملة بنقص ثمانية غروش في المائة. ثم بتوطيد حادثة الحرير الذي كان جاء امر بها قبلًا وبطلت فالان ثبتت بامر الوزير وذلك على الرطل غرشين ونصف ثم يتبق (منع) على الحنطة لا يحضر من حوران للشام حتى يخلص مطلوب عكا. حتى ان الباشا اشترى قمح بمال الميري وكان الموسم حالة متوسط واشترت الغلال بهذه السنة وانباعت الغرارة بماية وستون غرش ونصفها تراب. وعزّ وجود القمح طول السنة. وفي اخرها انباع المدّ بثلاثة غروش والسنة الثانية كذلك وحصل للناس غاية الضرر

ومن الحوادث في ايامهِ انهُ مات نصراني ميداني فقبروه في مغارة بساحة مار جرجس. فثاني يوم باكرًا جاءت امهُ تبكي على قبرهِ فوجدت باب المغارة مفتوحاً فنزلت الى داخله فوجدت ابنها عريان كلياً فاشتدّ حزنها وحالًا توجهت للسرايا وعرضت الامر للباشا. فطلب المذكور ناطور التلّ من الشاغور (وهو) مسلم ولهُ اجرة يأخذها من النصارى كل سنة. فسألهُ الباشا كيف يصير هذا وانت ناطور تحت علوفة (اجرة) فامر عليهِ بالضرب. فطلب الامان واعرض انهُ موجود اناس بالشاغور يعتادوا على تشليح الموتى وغيره ولا يمكني امنعهم حتى ولا اقدر اشتكي عليهم خوفاً من ضررهم لانهم جماعة جسورين ارديا. وافهمهُ اساميهم ومحلّ بيتهم. فحالًا ارسل التفكجي باشي ومسك الاثنين وجاء بهم للسرايا. فسألهم الباشا فنكروا. فامر عليهم بالضرب وعذبهم كثيراً ولم يقروا بشي.. ففكر الباشا يحضر امهم كونها تعرف سرائرهم. فسألها فصارت تعتذر وانها ليس تعلم بشي.. وبوقتهِ كانوا عمالين يعذبون اولادها فانوهمت

واقرَّت ان حوايج الموتى في مكان بالبيت مستتر. فارسل معها تفكجي باشي فأتتهم المكان وهو تحت الارض. فقتلوا اليه ووجدوا ملبوس اشكال. فحزموها وجابوها للسرايا وسلمها الباشا الى عبد العزيز اغا (1557) القلمة وامره بنبه على النصارى كل من له شي. يأخذه بعد تأكيده. فما احد طلب شيئاً غير ام الميداني اخذت قنباز لبنها والباقي وابستهم لابنها والاغا بعد حين باع الحوايج وتصرف في ثمنهم والباشا امات النفرين الذين بالشنق ومضى امرهم

واستقام الباشا حاكماً بالشام وعزل في ابتداء سنة سبعة وعشرين ومايتين والف (١٨١٢ م) وجاء المنصب الى سليمان باشا سلحدار السلطان وهو مقيم في اسلامبول واصله من حماة. وارسل الى سليمان باشا والي عكا وكالة الى حين حضوره. والمذكور ارسل الى علي اغا البغدادي الذي كان متسلماً بقي كما هو. وهذا كان في صور متسلماً وصاحب تدبير ونبيهاً. فارسله للشام واقامه متسلماً وناظر على القلعة ايضاً الذي كان وضع فيها عبد العزيز وبعده باكير آغا المغربي والآن عزل المذكور وتوكل مكانه. وسجن درويش اغا بالقلعة اياماً ولم يكن يدفع المال المطلوب منه ومدعي الافلاس وبعد مدة انطلب لطرابلس فسجنوه هناك. وبعد ايام اخذوه لصيدا تحت التسليم

ثم ان باكير اغا توجه لعكا شاكياً على علي آغا وايضاً على حاييم اليهودي بسبب عزلته من القلعة والشكاوة الى علي باشا ابو عبدالله باشا. وكان يطعن في حاييم مع علي باشا الذي هو صديقاً الى حاييم. وهذا باكير اغا كان شرس الطبع وكلامه كثيف (فظ). فلما سمع حاييم مقدمته فيه لعلي باشا الترم ان يتهاى باكير اغا ويكرمه في مال ويوعده انه سيرجعه الى القلعة. وبهذا الامل حضر من عكا للشام واستقام في بيته

وبعد ايام جاء لعنده رجل له عنده حساب فطالبه وكزّ عليه ذلك. فانحمق منه باكير وقام اليه وسحب عليه الخنجر فراح الرجل واشتكى الى علي اغا فاحضره وشتمه وحبسه بالقلعة. فبعده ارسل القاضي الى الاغا بان يطلقه من السجن بعد ايام بوكالة سليمان باشا. ثم في ستة عشر نيسان حضر امر الى علي اغا يقبض على باكير اغا ويخنقه حالاً. وتم ذلك ثم رموه خارج القلعة

ثم صدر نكتة في تولي علي اغا . وعنوان جملة دلالة رديّة (كانت) تسمى في فضح بنات الناس (157*) بوسيلة الترس . فخادعت بيتاً مستوراً واخذت ابنتهم لعندها للبيت وكان رجل يريدها فكمن في بيت هذه الشقية وسلمتهُ البنت وفضحها . واشتكوا اهلها الى علي آغا وبالحال طلب الرجل والامرأة . فالرجل هرب والامرأة حاشوها (القوا القبض عليها) وثاني يوم اماتها بالشنق في شجرة بميدان السرايا . وما هان ذلك على القاضي وتلاوم على الاغا وانهٔ مرة ثانية لا يعمل ذلك

﴿ تولي سليمان السلحدار ﴾ فحضر الباشا المذكور للشام في تسعة وعشرين حزيران ودخل بموكب عظيم في ربيع الآخر الف ومايتين وسبعة وعشرين (١٨١٢م) وحصل للمتسلم عبدالله آغا قبول واكرام دون غيره وكان ملازماً الباشا بكافة الامور . وبذلك حصلت الناس براحة بال حيث قبلاً كانوا موهومين من حوادث تحصل لاسيا حين شاع الطلب والثقلة التي حصلت على اهالي حماة وفوق ذلك من الخدمة التي تُطلب شيء زايد الحد . قيل انهُ في قرية القطيفة صار دعوى على كرم يساوي خمسمائة غرش فما بين الفلاحين انتهى على يد الكيخيا قامر في خدمة وافرة (دفع مال وافر) وهذا مما جعل الوهم يدخل على الناس

ثم بعد وصول الباشا باربع ساعات طلب رجلاً حمصياً تاجراً يقال لهُ عثمان محرم وهو من اعيان حمص جاء للشام في شغل وعمل البابن (يظهر انهٔ كان) لهُ اضداد في حمص وبالاخصّ متسلم حمص مبلغين منهُ امور رديّة . فحال مواجهته الباشا صدر الامر بقتلهِ فتجبى فيهِ علي اغا المتسلم وتجهد حتى عفا عن دمهِ وامر عليهِ بالسجن في القلعة . فاضطربت الناس من ذلك وبعض التجار تواروا عن اعين الناس . وبعد ايام ارتفع دعاوي كثيرة وكان الخدمة (المال المدفوع) تطلع للقواصه مبلغ لا يطاق . وكان علي اغا يراجع الكتخداء ويلطف الطلب وكلما يريدهُ المتسلم يصير . ثم ان الباشا خلع على المذكور خلعة فاخرة وجملة قيمتاً بوجوده . وهذه ضدّ العوايد . وكان بالنهار ملازماً السرايا وبالمشية بيات (بيت) بالقلعة . واخذ عيالهُ للقلعة واحضر اخاه من بغداد وكان مقيماً (158*) بالقلعة

وفي اثني عشر تموز حصل مزاعة بينهُ وبين الباشا بقصد منهُ . لانهُ اشار عليهِ ان يطرد ستا احمد من خدمتهِ الذي كان جابهُ معهُ من حماة ولبسهُ تفكجي باشي

واوعدهُ انهُ سينفيهِ بعد ايام · فصار علي اغا يكرر القول· فنفر منهُ الباشا واظهر الغيظ من هذه اللجاجة وهي من نوع المطاولة· فقام الاغا وتوجه للقلعة بحرد (بغضب) فسمت الناس بذلك فدخل عندهم الخوف وابتدأ العزيل بسوق الاروام · فطلب الباشا الاغا فامتنع وقال انهُ متشوش وشارب دواء فتزايد الخوف على الناس واقتضى ان الباشا حينما نظر وهم الناس اشهر مناداةً بالأمن والامان· وكل من سكّر دكانهُ يرتّب جزاء · ثم عيّن عندهُ آغن علي دالي باش وارسلهُ للقلعة يحكي مع علي اغا بانهُ يحضر لعنده يلبس خلعة رضى ويرجع للقلعة بكل امان· وبذلك يرتفع عن الناس الاشتباه· وعلى كل حال ما فيهِ سبب لهذا الانشال (القلق)· فكلمهُ كثيراً وهو لا يسمع·وجوابهُ انني انا آغاقول بموجب امر سلطاني وملتزم وظيفتي لا ارغب خدمة الوزراء ولا اريد اقارش شيئاً ولا يمكن اطلع من القلعة كلياً · فرجع آغن علي واخبر الباشا بما سمع · فثاني يوم تحبت (خافت) الناس وعزل اسواق كثيرة القريبين للقلعة والسرايا · وقيل ان علي اغا ارسل تحت الدس (خفية) ينبه على الناس يعزلوا وخوفهم جداً· فلمّا نظر الباشا خراب البلد ارسل للقاضي بان يرسل احداً من قبلهِ للآغا يكلمهُ (كي) يطفي النيران القايدة (المتقدة) ويعمل لهذا الحال آخر · فتوجه نائب القاضي للقلعة وتكلّم مع الآغا كثيراً وحسّن له الاطاعة فما صار افادة بل الاغا ازداد حنقاً وقال للنايب: ان كان اللايكة تجي من السما تطلب القلعة فلا يمكنني ان اسلمها· وانحبق كثيراً وصار يقول: ما انا بشان الوزير (مرتبط بخدمته) ولا بمعازة امانهِ· واغلظ في القول جداً

فرجع نايب القاضي خايباً والبلد ضايجة والخوف يزداد· فما احتمل الباشا هذا الحال واعتمد بمحاصرة القلعة وعيّن عساكر كثيرة نيف عن ثلاثة الاف وشرعوا بالحصار (158[٧]) وركّبوا المدافع داير القلعة واشتغل الضرب ناحية البرج· وعلي اغا سكر باب القلعة حالّا وعندهُ مايه وثمانون نفر جميعهم بغادة (١ وكان ادخل ذخيرة للقلعة على المشاع (اشيع انها) تكفيهِ لسنتين· ثم ابتدأ يضرب مدافع عشية الجمعة تاسع عشر تموز والعساكر ملازمة القلعة على الداير وضرب الرصاص من كل ناحية ومن

(١ من بنداد

المواذن (المآذن) القريبة القلعة حتى يمنعوا طلوع العسكر الجواني انامر القلعة · ودام ضرب المدافع والحصار الشديد نهار السبت والاحد ليلاً ونهاراً بغير فتور · واماً بالليل (فكان) يقف الحرب نوعاً · اماً ليلة الاثنين فصار الضرب متصل لبعد نصف الليل · ومن القلعة اوّل يوم انضرب مدافع قليلة وانما ضرب الرصاص كثير · وقُتل اناس قليل من خارج القلعة واحترق بعض اماكن ناحية المناطيه

ففي صبحة (صباح) الاثنين قرَّ الرأي بحفر لغم في اساس القلعـة حيث ان المدافع ما صار منها نتيجة يرجى منها الفرج وانما تهشم حيط البرج ووقع كم حجر من شرافات القلعة · فابتدوا بحفر اللغم وسخروا الناس في ردم الخندق · ومع ذلك ضربُ المدافع متصل والرصاص ايضاً من المواذن خصوصاً حيث انهم يكشفوا على سطوح القلعة · ومع وجود هذه الدوغه (الضجة) كلها ما احد انتبه من الذين داخل القلعة ولا عندهم خبر حفر اللغم ولا ردم الخندق · فقوي عزم الباشـا وامر باحضار سلالم ينصبوها على حيط القلعة · كل هذا والذين داخل القلعة مـا عندهم خبر شي · · فقام الكتخداء وكلم العسكر بطلوعهم على السلالم وكل من طلع اوّلاً يأخذ البخشيش · فتقدَّم عـسكري ارنوطي او مغربي فطلب خمسمائة غرش فارضـاه بثلاثمائة غرش · فاخذها وطلع الى السلم ووصل الى اعلاه سحب سيفهُ خشية من احد يكون كامناً له وصار يتشجع ويعلو رويداً رويداً الى انهُ صار على سطوح القلعـة · فنظر ميسنة ميسرة مـا وجد احداً يخشاه · فاعطى اشارة للعسكر فساروا يتسابقوا بالطلوع على السلالم الى ان صار كميّة وافرة · وهـذا الحال كان من غرائب الاتفاق فكل من نظرهم من عسكر البَّادة (159) يجمد دمهُ · وقتلوا منهم خمسة انفار وارموا روؤسهم من اعلى السور ثم اشتغلوا بالنهب · وكانت ساعة مهولة وعسكر القلعـة صاروا مثـل الطيور بالشبكة وصار العسكر يعرونهم ويتركونهم · ومنهم (مَن) هربوا من الخوف الذي داهمهم الى سياقات المالح (اي مصرف المياه والاقذار) التي تحت الارض ومنهم من بقي يومين وثلاثة ايام · وربما مات منهم بهـذا الحال · والعساكر لم يزالوا يتزاحمون على الطلوع للقلعة

وبعد ساعتين طلع آظن علي دالي باش على السلم ليمسك الاغا ويحضرهُ للباشا الذي (اي الاغا) كان شلحوهُ العسكر من غير ما يعرفوه وبعدهُ مختبي خلف باب

القلعة. فلمّا وصلوا اليه ارادوا مسكهُ فكان معهُ فرد طبنجا فقصد يقتل نفسهُ. فمنعوهُ وحسنوا لهُ التسليم وربما يصير لهُ عفو. فما اركن حتى سمحوا لهُ في ألبق (او قلبق) دالاتي يلبسهُ وهو طلب منهم ذلك. فمسكوه وجاووا بهِ الى طرف سور القلعة. وقبل ما ينظرهُ عسكر الدالاتيه من تحت السور رموا القلبق عن راسهِ. لان اذا نظروه العسكر مختبياً في وجاقهم (في فرقتهم) فما يدعوهُ يقتل. ثم نزلوه الى السلالم حافياً بطاق القميص مكشوف الراس بحال يرثى اليهِ. والناس تتاطرت افواجاً ليتفرجوا عليهِ

فلمّا وصل القاعة البرانيّة وكان الباشا جالساً وبجانبهِ شيء من السلاح فحين نظر الباشا وقع على الارض وما امكنهُ الوقوف. فكلمهُ الباشا: ايش هذا العمل الذي عملتهُ. فكان جوابهُ: انهُ ما هو مني. فانحنق الباشا منهُ وقام ناهضاً وظنّ الواقفون انهُ يريد قتلهُ. ثم قعد وقال لهُ: تقول انهُ ما هو منك فاذاً من مين (ممّن). فقال: من سليمان باشا وهو الزمني. فسكت وامر (ان) ياخذوهُ الى الخزنة ويحبسوهُ في اوضة الخزندار. ثم مسكوا اخو علي باشا والخزندار وسجنوهم. ومسكوا بعض البنادة الذين بالقلعة منهم حبسوهم ومنهم اطلقوهم. واشتغل العسكر بنهب القلعة يوم وليلة حتى ما بقي شيئاً يساوي عشرة فضة حتى نهبوا الفرقة والدست المختص بالوجاق وبعض برك الحاج واشيا. قديمة من تروسة (159*) وغير اشيا مخزونة من زمان وما صار نهب ردي هكذا من سنين عديدة

وثاني يوم نهار الثلاثا امر الباشا بفتح باب القلعة وجعل بها بعض عسكر محافظين ومضى امرها

امّا ما كان من امر الاغا فعشيّة الاثنين دخل لعندهِ الكتخداه وصار يوانسهُ بالكلام ويعاتبهُ على ما وقع منهُ. وامتدّ الخطاب حصة (مدّة) طويلة. وامّا الاغا كان حصل خلل في عقلهِ ودائماً يتنهد ويتندّم ويطلب الامان. فالكيخيه حين نظرهُ مرتمشاً تركهُ وامر خادم يطعمهُ ويسقيهِ. وجابوا له شال ابيض وجوخه وهو لا يريد ان يلبس ولا ياكل ولا يشرب. وصار الخادم يوانسه بكلما كان ممكن. وهو ما طال (لم يزل) يصفق بيديهِ ويقول: ايش جرى ايش صار. وفي الصباح غلساً دخل لعنده الكتخداه وسكر الباب وصار يقررهُ عن شي. خفي. فاستقام حصة طويلة ثم طلع

لعند الباشا وافهمه ما كان. فبعد الشمس بثلاث ساعات صار الديوان واحضروا علي اغا. فوبخه الباشا عن طمعهِ في لستاذهِ وانه ابداً ما الزمه يعمل ما عمله وانما هذه سندات (احتجاجات) منهُ ومطاولة (وتطاول) في حقّ الوزراء. وحينئذٍ امر بقتله وخنقوهُ بالعتبة ثم عروهُ كلياً ورموهُ في باب السرايا بغاية الاحتقار وحصل عليهِ الاسف من الخاصّ والعامّ. ولكن ما احد ترحّم عليهِ بما (بسبب ما) عمل بنفسهِ لانهُ هو افترا على نفسهِ. وكان يقدر على نتاجهِ (خلاصهِ) من هذا القطوع (التهالكة) ولو كان الذي فعلهُ من غيرهِ كما قال. ولكن المقدور ما منهُ مهروب. مع انهُ كان فريد الاوصاف وعقلهُ زكي وفهيم وكانت الناس راضية منهُ في مدَّة ولايتهِ ويميل للنصارى وعندهُ معروف ورقَّة. وانما كان بخيل وهذا من مزايا البغادة (الذين من) جنسهِ. ويكون هذا ابن اخو احمد اغا المشهور الذي كان اغاقول في الشام في زمان الجزار وهرب لبغداد واخيراً مات قتلاً حين توفي سليمان باشا والي بغداد وابن اخيه هذا استقام خادماً عند والي صيدا وعملهُ متسلماً (160٢) في صور فبعدهُ في هذه السنة ارسلهُ للشام وقضى نحبهُ نظير عمهِ. ثم ان اغاهُ شفع فيهِ آظن علي واخذهُ لعنده

اماّ الخزندار فصدر الامر بقطع عنقهِ فلماّ وقع بيد الجلاد طلب مواجهة الوزير واختلى بهِ ساعة زمان. وبعده سجنوهُ اياماً ثم اطلقوه. قيل انهُ استقرّ (اقرّ) في مال مدفون بالقلعة يخصّ علي اغا. وقيل غير ذلك (لهُ بقيَّة)

النحل

نظر علمي عملي اقتصادي للاب اسكندر طوران اليسوعي (تتمَّة)

٣ ذكر النَّحل

بعد ان افضنا الكلام في النحلة العاملة فلنصفنْ الذكر. وما يقال عنهُ بالاجمال انَّ مرتبتهُ في خلية النحل دون مرتبة الاناث. فكأنَّ هذه المستعمرة التي قوامها بالشغل لا ترضى بتسويد الذكور والذكور لا يأتون عملاً نافعاً سوى تلقيح الملكة فتراهم ليل نهار مخلدين الى الراحة مستسلمين للكسل فالعاملات من النحل اللواتي هنَّ خناثى او

بالحري اناثاً عقيمات لا يصبرن على الذكور ألّا اذا أمِلن منهم منفعة فاذا رأين أنهم لم يعودوا يصلحون للتناسل حملن عليهم وطردتهم من الخلية فيموتون جوعاً

ولا تظننَّ مع هذا انَّ الحكم هو للملكة فقد بيَّنَّا في الفصل السابق انَّ حياة الملكة نفسها منوطة بالعاملات. والاحرى ان يقال انَّ المستعمرة النحليَّة على هيئة جمهوريَّة من الاشتراكيين فالحكم فيها للعملة الذين يسوسون في الخير العام على حدّ سواء دون مراعاة الرتب والمقام

ويُعرف الذكر بمجرَّد النظر اليه فانهُ اكبر جسماً من النحلة العاملة واغلظ بنيةً كما انَّ رأسهُ اكبر من رأسها تكاد عيناه الجاحظتان تشغلانه. فاذا طار سُمع لهُ طنين مرنّ يخيف من يجهل انَّهُ لا ابرة له وانَّ لا بأس من اصطياده. بخلاف الاناث العاملات فانَّ لهنَّ حمة سامَّة لاذعة يتهدَّدن بها كل من يناوئ الخلية او يقصدهنَّ بأذًى. اما الملكة فلها ايضاً حمة لكنها لا تستخدم هذا السلاح الّا لمحاربة ملكة اخرى مثلها تقصد خلعها

واذا دخل الربيع وهو الوقت المناسب لانفصال خشارم النحل ترى العاملات يصطنعنَ في اقراص العسل بيوتاً من الشمع مسدَّسة اوسع من التخاريب المادّية. فهذه البيوت انما هي لتربية الذكور المعدَّة للخشارم الموشكة على المهاجرة. واذا قامت الملكة لتلقي بزورها في تلك المسدَّسات جعلت بزرة نحلة انثى في البيوت الصغيرة وبزرة ذكر في الواسعة لا تكاد تخطىء في وضعها

وان سألت كيف استطاعت الملكة ان تُفرز بين بيض الذكور والاناث وهي تنسل في اليوم الوفاً من البيض أولعلَّها تدري بانَّ البيت الواسع هو للذكور وما سواه للاناث؟ وان علمت بذلك أليس فعلها صنفاً من الفهم والادراك؟

كلّا لا فهم لليعسوب او ملكة النحل كما لغيرهما من الحيوان الاعجم. امَّا تعليل فعلها المذكور فقد بيَّنه بعض العلماء. والمدقّقين الذين انعموا النظر في الامر فقالوا: انَّ ملكة النحل بل كل الاناث العاملات يُمكنَّ في بعض الاحيان ان يلقين بزرًا ويبضن هذا كلهُ من جنس واحد فاذا لم تأبره الامّ وتصلحه بعد افرازه انتج دائماً ذكرًا واذا أبرتهُ صار نحلة انثى او عاملة. وعليه فاذا مرَّت الملكة بتخروب ضيّق دفعتها غريزتها الى حضانة خاصة لتنتج تلك البزرة نحلة عاملة. امَّا التخاريب

الواسعة فتلقي فيها بزرها دون ذلك الاصلاح فيأتي بذكور . هذا ما ارتآه هؤلاء العلماء لشرح هذا الامر الغريب وشرحهم لا يخلو من الرجاحة وان لم يكن مقرَّرًا راهناً

واذا وُضعت بيض الذكور في بيوت الشمع المعدَّة لها قامت النحل العاملات بامرها فيأتينها بالطعام الموافق ويصلحنها كما يفعلنَ بدود العاملات واذا مرَّ على الذكر ٢٤ يوماً بعد تسرئة الامّ اي بزيادة ثلاثة أيام على الاناث فتح المولود غشاء الشمع الذي يغطيهِ وخرج ذباباً تامّ الخلقة . وليس من كيان الذكور منفعة الّا ان يلقحوا ملكات الخشارم الجديدة وهذا اللقاح يقوم بهِ ذكرٌ واحد ويكفي لطول حياة الملكة وعليهِ لا حاجة الى ذكور كثيرة في خليَّة واحدة

وربما كثر عدد الذكور في القفير الّا انَّ في هذه الكثرة ضررًا لجماعة النحل لانَّ الذكر كما سبق القول لا يألف الشغل في داخل القفير او في خارجهِ فيقضي حياتهُ فارغاً باطلًا ويعيش متطفلًا على نفقة العاملات فيأكل كثيرًا ممَّا يُعددنهُ من العسل . واذا حمي النهار يخرج هؤلاء الذكور من القفير طلباً للراحة والنزهة ولا يعودون اليهِ الّا مساء ليصرفوا ليلهم اكلًا وشرباً

فاذا رأى اصحاب القفران والمألون انَّ الذكور تكاثرت فعليهم ان يتخذوا مشبكات صغيرة من اسلاك الحديد فيها ثقوب يمكن الاناث الاجتياز بها دون الذكور فتوضع على باب القفير وتُمنع الذكور من الدخول اذا خرجت فتُقتل

هذا وقد سبق القول انَّ النحل مع ما خُصَّت بهِ من المزايا الطيبة الموصوفة قبلًا ليست من الحشرات المتعطفة بل هي شرسة الاخلاق لا ترحم غير وصيفاتها العاملات ومن ثم في كلّ سنة بعد انفصال الخشارم او في آخر الصيف عند ما يقلّ الزهر في الخارج تجتمع لمطاردة اخوانها الذكور ولا تفعل في قلوبها اواصر الحبّ والقرابة بل تهجم على الذكور الذين وُلدوا في السنة فترى لفعلها مشهداً فاجعاً فانَّ ثلاثاً او اربعاً من النحل الاناث يُحدقنَ بذكرٍ واحد فيترنهُ من جوانحهِ ويسحبنهُ بقوائمهِ كانهنَّ الشُّرَط يجلبون اثيماً مكتفاً الى منقع الدم وهنَّ لا يزلن بدفعهِ حتى يُخرجنه من الخلية ويقمنَ في حراسة الباب لئلا يعود اليهِ فترى هؤلاء البائسين وقوفاً حول القفير في اسوأ حال فلا يلبثون ان يموتوا جوعاً او بردًا في الليل . فتكفي بهذا الفعل

دليلًا على خلو النحل من الفهم والادراك اذ لا يذهل العقل عن فعلهن ذاك القطيع الى ان تخلو الخليّة تماماً من الذكور في وقت الشتاء حتى الربيع حيث يبتدي تناسل جديد

٤ اليعسوب او ملكة النحل

انّ في القفير ما خلا الاناث العاملات من النحل والذكور الموصوفين آنفاً ذبابةً اعظم شأناً وارفع قدراً الا وهي الملكة. قلتُ « الملكة » بالمفرد وليس الملكات لانهُ ليس في الخليّة غير ملكة واحدة تامَّة الخلقة. وهذه الملكة اكبر قليلاً من النحلة العالمة وبطنها مستطيل فمن عاينها مرَّةً ميَّزها للحال بين جمهور النحل

وعلى هذه النحلة يتوقّف نجاح الخليّة كلها بل وجدانها على انها لا تضبط عنان الامر والسلطة المطلقة بل قل بالحري انها مقيَّدة تحت حكم جمة من النحل اللواتي يراقبن كل حركاتها وسكناتها. امّا مقامها العالي في المستعمرة فلكونها امّ الجميع وقوام كلّ النسل الجديد. ويزيد نتاجها على قدر وفرة طعامها لاسيا من زَهَر الزهور الذي يختلف على اختلاف فصول السنة. ويكون ايضاً بقسمة قوّة المستعمرة وعمر الملكة وجنسها وعلى مقتضى احوال الجوّ والحرارة

واذا هجرت الملكة قفيرها سار وراءها كلّ النحل. واذا ماتت عرَضاً او عجزاً ولا تفقدو النحل على تربية غيرها فتبت المستعمرة وتلاشت عاجلاً او آجلاً ما لم يتداركه عسّال خبير ذلك الخلل ويدخل الى القفير ملكة أُخرى. وعند موت الملكة تقف حركة المستعمرة وتكفّ النحل عن جمع لقاح الزهور واستحضار العسل وانَّما تأكل ما في القفير من المؤنة ثمَّ تستسلم للموت

امَّا اذا ماتت الملكة وادخلت في الخليَّة ملكة جديدة فتقضي بها كل النحل بل تستقبلها بارتياح وسرعة وتعود الحركة في المستعمرة كما كانت سابقاً. ولو ادخلت هذه الملكة في حياة الملكة السابقة لتواثبت كل النحل على الدخيلة وقتلتها لا محالة

وللنحل في بعض الاحيان خبرة في اقامة ملكة جديدة بدلاً من الميتة. وذلك اذا وجدت النحلات بيضاً لم يُفقس بعد او حشرات اناث عاملات عمرها دون ثلاثة ايام فيفعل عجيب من الغريزة التي منحها الله تختار بعضاً من ذلك البيض او من تلك الحشرات فترشحها للملك. ولعلمها بانَّ الملكة اكبر بدناً من الاناث العاملات

وانها تحتاج الى مكان ارحب لتنمو فتخرب النحل بيوت المختارات للملك فتصطنع لهنَّ مخاريب اوسع. ثمَّ تعدُّ لهنَّ طعاماً خاصاً وغذاء لطيفاً تغتذين بهِ الى زمن يُطلق باحداهنَّ ملكة ومذ ذاك الحين ترى كل النحل يصرفنَ الهمَّ الى الاخدار الملكية فيراقبنها ليلَ نهار. واذا دخل اليوم الحادي والعشرون من يوم نتاج المرشحات تسارعت النحل الى الغشاء الذي يغطي الزيزان الملكيَّة في بيوتها لتشقهُ فاوّل نحلة وُجدت تامة البنية كانت هي الملكة وتبايعها جماعة النحل. امَّا الملكة الجديدة فانها تبادر الى مخاريب بقيَّة رصيفاتها المختارة للملك فتهلكها وتودي بحياتها كما كان يفعل بعض سلاطين الشرق باخوتهم عند جلوسهم على منصَّة الملك

ولعلَّ بعض القرَّاء يظنُّون انَّ قولنا السابق ضربٌ من الروايات الخياليَّة التي لا سند لها. والامر مع ذلك عين الحقّ لا ريب فيهِ. وسترى في كلامنا عن الخشارم كيف يستفيد المألون لتوفير الخلايا الصناعيَّة من هذه الخاصَّة التي طُبعت عليها النحل لنصب ملكتهنَّ. وينتج مما سبق انهُ ليس فرق البتَّة بين بيضة النحلة الملكة وبقيَّة النحل الاناث وانَّ كلّ عاملة من النحل ملكةٌ بالقوَّة فاذا جُعلت دودتُها في مخروب كبير ونالت من فضل اخواتها طعاماً دسماً قوي بدنُها واشتدَّ واتَّسعت فيها اعضاء التناسل لتوليد البيض فتصلح ان تكون امَّا اي ملكة بخلاف بقيَّة النحل الاناث اللواتي لا يجدن في مخاريبهنَّ سعةً ولا في طعامهنَّ قوَّةً كافية ليبلغن مبلغ الملكة وانَّما قوَّتهنَّ تنصرف الى ابرتهنَّ التي تصبح لهنَّ كسلاح رهيب وهذه الحُمة تكون في الملكة اقصر واضعف. فصحَّ بهذا قولنا السابق انَّ عُمَّال النحل اناثٌ معقَّمة او خناثى يُجرَّدن عن قوَّة التوليد ليقمن بخدمة الجماعة. ولولا ان النحل المربّيات يجرين على مقتضى الوهم والغريزة الطبيعيَّة الحيوانيَّة لعزوناهنَّ الى الهمجيَّة والظلم

قلنا ان الملكة هي في القفير مولدة لكلّ النسل الجديد فبناء عليه ظنَّ بعض المألين ان اجناس النحل يمكن تحسينها بان يُجمع بين ذكرٍ اهلي وملكةٍ غريبة افضل جنساً كما يفعلون في توليد اجناس جديدة من الخيل والكلاب وغيرها. ومن ثمَّ عمد المألون في فرنسة الى يعاسيب من النحل الايطالي المعروف بنشاطهِ ووفرة عسله فأسفدوا عليها ذكوراً من الجنس الفرنساوي فكان للنسل خواص الجنسين وبذلك تحسَّن النحل الفرنساوي

وليس الامر صعباً فان شئت ان تحسن النحل البلدي مثلاً وتجديد خواصّ النحل الايطالي فعليك ان تطلب من ايطالية ملكةً قبل تلقيحها فتُرسل اليك بالبريد في علبة ينفذ فيها الهواء. ومعها بعض النحلات للقيام بطعامها في الطريق. فاذا وصلت نزعتَ من الخلية الملكة التي فيها بحرص ووثاقة ثم تدسّ في مكانها الملكة الجديدة التي يأتي عليها احد ذكور الخلية فلا تلبث ان تنسل نسلاً جديداً وبعد قليل تتجدد الخلية بموت النسل العتيق المولود من الملكة الاولى. ولهذا النسل خواصّ تفضل على الجنس الاوَّل

اعمال النحل في باطن الخلايا

انَّ نظرنا السابق في ضروب النحل والملكة الامّ يستدعي نظراً آخر اي الكلام في اعمال النحل في الكوارة لانَّ العمل ملازم للعامل. وكل من يذكر النحل يفكر في مصنوعَيه اعني شمعهُ وعسلهُ

١ ﴿ الشمع ﴾ اذا استقرَّ النحل في مكانه سواء كان قوارةً صندوقاً او خليَّة او تجويف شجرة او صخر اسرع الى افراز الشمع ليتخذهُ كأساس لقرصه الاوَّل. واذا بلغ طول هذا القرص بعض سنتيمترات عمد الى اصطناع قرص ثانٍ يكون موازياً للاول موازاة تامَّة حتى اذا ابتنى بعد ذلك تخاريبهُ اي بيوتهُ المسدَّسة كانت كلها متشابهة ذات عمق واحد على وجهي القرص. ثم يبتني قرصاً ثالثاً ورابعاً على حسب عدد افراد المستعمرة. وليس بين كل من هذه الاقراص من المسافة الَّا مجاز ضيق كافٍ فقط لحركات النحل في ذهابه وايابه. ولا يشذّ عن هذه القاعدة الَّا عند ختام العمل فيصطنع تخاريب غير تامَّة ليسدَّ بها كلَّ فضاء الزوايا الفارغة

وهنا لا يتالك الانسان من الصراخ: سبحان الله الذي اعطى هذه الحشرات الصغيرة ان تقوم باعمال هندسيَّة لا يقوى عليها احذق المهندسين فانَّها بلا مقياس ولا آلة البتة تحفظ النسبة التامَّة في تركيب الاقراص وتراعي قوانين الموازاة والمقدام في وضعها ثم تقيم فيها تلك المسدَّسات العجيبة تخزن طعامها وكلها على مثال واحد وعمق واحد واتقان واحد. ثم تجري النحلة ابنة اليوم على هذه الوتيرة دون معلّم يرشدها ولا دليل يهديها بل تصنع كل اعمال الخليَّة بمجرَّد غريزتها. افليس هذا من اسطع البراهين على وجود خالقها ومرشدها العظيم

واذا انتهت العاملات من تجهيز قسم من المسدسات عدل بعضها عن اصطناع الشمع لتحصيل المؤنة فتخرج الى الحقول والبساتين لتجمع من الزهور لقاحها وعسلها فتنقله الى الخزان ليكون غذاء للعشيرة. فمنهُ تغتذي الملكة والنحلات المشتغلات في بناء الاقراص. وما فضل من الطعام يُخزن لايام الشتاء. كأنَّ النحلة تعرف سلفاً انهُ يأتي عليها فصل قارس البرد لا يمكنها في مدتهِ ان تخرج من الخلية فتحتاج الى طعام قريب منها. امَّا لقاح الزهور وزئبرها فانَّ النحل يلوكهُ ويجعله لموقاً لغذاء الصغار وهنَّ دودات

وتُبقي النحلات المجتنيات للزهور قسماً من بيوت الشمع فارغةً فاذا تمَّ عملها تجعل الملكة في كل منها بزرة كما قيل سابقاً تستحيل بعد قليل الى دودة ثم الى زيز وشرنقة ثم الى نحلة

ومن البديهي انَّ البنَّاء اذا اراد تشييد دار بناه من اسفل الى فوق والنحل يجري في بناء اقراصه على عكس ذلك فانهُ اذا باشر بتركيب القرص ألصقهُ في سقف الخلية فيتحدَّر الى اسفل مع مواصلة العمل. واذا رأيت النحلات متراكمات حول قرصهنَّ كالعناقيد وانت لا تكاد تميز حركتهنَّ ظننت انهنَّ يسترحنَ وهنَّ في الحقيقة يجهدن في الشغل فيفرزن الشمع ويلصقنهُ بالقرص ويسوين جدران المسدسات لا يحدنَ في تسويتها شعرة .

والشمع نتيجة هضم النحل لعسلها لكنها لا تفرزهُ بالقناة الهضمية بل بغُدد صغيرة دقيقة جدًّا موقعها تحت حلقات بطنها كما قلنا . واذا حاول خشرم من النحل ان يطير الى خارج الخلية منفصلاً عنها رأيت النحلات تغتذي بنهم من عسل الخلية قبل خروجهنَّ وليس ذلك شراهةً بل بفعل الغريزة فيهنَّ كأنهنَّ يعلمنَ بانهنَّ سوف يحتجن قريباً الى شمع لابتناء اقراص الكوارة التي سيحللن بها

« العسل » ما هو العسل ؟ هو مركَّب العصارات السكرية المعطَّرة التي تمتصُّها النحل من الزهور ومن الاثمار النضجة المتشققة بل من قشور بعض الاشجار. والنحلة خرطوم تنفذهُ في الزهرة حتى تبلغ قمرها فتمصّ ما هناك من العصير وتجعلهُ في احد تجاويف معدتها دون ان تهضمهُ . واذا كل حملها عادت الى القفير ومجّت في البيوت المعدَّة لذلك ما رشفتهُ من شراب الزهور ثم تعود فتنتقل حملاً آخر

وهذه العصارات لتصير عسلاً تحتاج الى استحضار خاصّ تقوم بهِ عاملاتٌ من النحل في باطن الخلية واذا انجزت عملها وامتلأ البيت عسلاً اتت النحلات الشمّاعات فبسطنّ عليه غلافاً من الشمع لصيانته. وشغلُ النحل متواصل لا ينقطع البتة ففي الخارج يدوم النهار كلهُ وفي الداخل يتتابع ليلاً مع نهار

والعسل يختلف نوعاً وجودةً على حسب الامكنة التي فيها مقام الخلايا لانّ لكلّ بلد زهرهُ ونباتهُ الخاصّ المختلف طيباً وعبقاً فالعسل ينال من ذلك الزهر وذاك النبات خواصهُ وميزاته. وعسل الجبل يكون دائماً اطيب والذّ من عسل السهول لوجود ضروب من النباتات العطرية في الجبال

وغاية النحل من اصطناع العسل انّما هي اعداد المؤونة لنفسها في فصل الشتاء كأن الطبيعة ارشدتها الى ما ستصير اليهِ من الحاجة الى الطعام في وقت البرد. وهي لا تعلم انّ الانسان سوف يحرمها قسماً من مؤونتها فيأخذها لنفسه. وهو يفعل بالنحل ما يفعل بالدجاج اذ ينزع عنها بيضها قبل حضانته وكما يفعل ببقيَّة الحيوانات التي يستخدمها لحاجاته. ولو علمت لضنَّت بعسلها وبيضها ولبنها وكفى بجهلها دليلاً على عدم ادراكها وعلى حكمة الخالق الذي سخَّر الحيوان الاعجم لخدمة الانسان ليستعين الانسان بهِ لخدمة خالقهِ

قلنا انّ في اقراص الشمع بيوتاً فارغة معدَّة للنسل المولود فان الملكة تجعل في كل بيت بزرة تراها العين المجرَّدة ملتصقة في قعرهِ وبعد قليل تصبح البيضة دودةً او زيزاً تراها في ثقبها ملتويةً وهي تكبر مع الايام حتى تصير شرنقة يسجيها النحل بغشاء من الشمع ريثما يتمّ تكوينها وتصير نحلةً وهذا الغشاء يخالف غشاء بيوت العسل فانّ غشاء الشرانق محدّب امّا غشاء العسل فمتساوٍ. واقراص الشمع في اوّل تركيبها تكون بيضاء اللون وتبقى على بياضها في السنة الاولى اذ تحتوي على العسل فقط لكنها تضرب الى لون غامق بعد سنةٍ عندما تضع الامّ فيها بيضها ثم يزيد لونها قتاماً فتصبح مسودَّة بعد سنتين او ثلاث سنين

٦ خشارم النحل

ان مستعمرة الخلايا في استحالة دائمة فاذا شاخت العاملات قام بدلاً منها نسلٌ

جديد بولادة الامّ التالية. والملكة يكثر نسلها خصوصاً في الربيع بل لا ينقطع طول السنة ما خلا وقت البرد القارس

واذا انتهى فصل الشتاء وصبرت النحل على شدّته تراها عادت الى حركتها ونشاطها فتعمد الى اصطناع اقراص جديدة من الشمع ويشتدّ أزر الملكة فتلقي كل يوم الوفاً من البيض فتنمو المستعمرة وتهتمّ النحل العاملات بتربية ملكات جديدة وذكور تصلح لتلقيحها. والغاية من ذلك اعداد ثَوْل ينفصل عن الخليّة ويعيش عيشة مستقلّة. واذا رأيت ذكور القفير تخرج كل يوم للتنزّه قُلْ انّ مستعمرةً جديدة على وشك مغادرة القفير

واذا فارق الثول قفيره رافقتهُ عادةً الملكة القديمة فتقوم عوضها ملكة حديثة. والثول الاوّل يكون غالباً قوياً وكافياً للاستعمار وهو في الوزن لا يقلّ عن كيلوغرامين ويشمل الكيلو نحو ٩,٠٠٠ الى ١٠,٠٠٠ نحلة. واذا انفصل الثول باكرًا في اوّل الربيع كان افضل لهُ اذ ينطبق انفصالهُ مع توفّر الزهور فتستطيع النحل ان تجمع بسرعة مؤنتها فتفرز الشمع للاقراص وتُعدّ بيوتاً تجعل فيها الملكة بيضها قريباً فيزداد بذلك عدد العاملات بخلاف الثول المنفصل في اواخر الصيف لاسيما في الاقطار الباردة فانّ نحلهُ لا يستطيع ان يذخر المؤنة قبل وقوع الشتاء فيهلك بحلول البرد

واذا انفصل الثول الاوّل ربّما حاول ثول ثانٍ وثالث ان يخرجا مع ملكاتهما. ويظنّ بعض العاملين ان هذه الجماعات المهاجرة تغنيهم وتوفّر محصولهم من العسل ولذلك تراهم يعدّون خلايا لتلك الجالية ويزيدون عدد الخلايا. ولكنهم على رأينا مخطئون في عملهم اذ انّ هذه الاثوال اذا توالت وخرجت من خليّتها الاصليّة تكون ضعيفة قليلة النحل فلا تأتي بالمحصول المأمول اذ لا يمكنها ان تجمع المؤنة الكافية للشتاء فتهلك. والأولى ان تعاد تلك الاثوال الى كواراتها فتأتي مع وفرة عددها بما لم تستطعهُ بقلّته

وليس ردّها الى خليّتها السابقة بالامر العسير اذا كانت النحل من جنس واحد — لانهُ لا يجوز الجمع بين اجناس مختلفة من النحل لئلّا يقاتل بعضها بعضاً — فيمكنك ان تعيد الى الخليّة ثولين او ثلاثة اذا رأيت هذه الاثوال قليلة العدد ضعيفة القوّة

وخفت ان تسمم الخلية الاصلية بكثرة المهاجرين · ودونك الطريقة لذلك. اذا انفصل خشرم النحل وحط مع ملكته او ملكاته في مكان موافق فاجمعهُ في وعاء. وعند المساء كُبَّهُ بقرب القفير الذي خرج منهُ سواء كان على الارض او على قطعة من الخام فترى النحل قلقاً يتطاير الى كل صوب فابحث عن الملكات واقتلهنَّ وربَّما بلغ عددهنَّ الخمس او العشر ولا تشفق على واحدة منهنَّ ولو اثرت غضب النحل عليك · فاذا عاينت الهاجرات انها فقدت امراتها عادت بعد قليل الى خليتها الاصلية

ولكن لا بأس ان تجمع في خلية واحدة اثوالاً متعددة خرجت في وقت واحد من خلايا مختلفة وجنى واحد فيكفيك ان تكبَّ هذه الاثوال واحداً بعد آخر في صندوق فتختلط ببعضها وتأنس باصحابها

امَّا اذا كانت هذه الاثوال مختلفة السن فتقصد ان تخلطها ببعضها لتزيد قوتها بالمدد فانفخ اوَّلاً دخاناً في القفير الذي تريد ان تضمَّ اليه خشرماً جديداً ثم كبَّ في هذا القفير بخفة الثول الجديد ثم دخّن القفير ثانية فتختلط النحل ببعضها فكأنَّ الدخان يلتصق بابدانها جميعاً فلا تعود تفرق بين اهليّ وغريب فتمتزج امتزاج الاخوات

وان سألت عن الملكات ماذا حلَّ بهنَّ ? فاطلب الجواب في غدٍ وراقب الخلية فتجد امام مدخلها اجسام عدَّة ملكات بطشت بهنَّ واحدة اقوى منهنَّ سواء كان الظفر للملكة القديمة او للملكة حديثة اشدّ منها · فاذا مدَّ الليل رواقهُ قامت تلك الفاتكة وتملت كل ملكة تزاحمها في الملك. ولا تدخل بقية النحل في هذا البراز الشخصي بل تقوم الى المقتولات وتنقل اجسامها الى خارج · والملكة لا تلتجئ الى ابرتها القاتلة الَّا في هذه الدفعة لتستبدّ بالسلطة دون سواها

وللملكة مظهر آخر يلوح فيها عظم مقامها بين النحل وذلك في يوم مهاجرة الثول الجديد للقفير كي يباشر باستهجارة مستجدة. فان لم تخرج الملكة بقيت النحل في الخلية وان عادت الى القفير بعد خروجها تبعها الخشرم باجمعهِ. وحيثما تحطّ يحطّ النحل معها واذا انتقلت الى مكان آخر رافقتها جماعتها. فانها السيدة والميرة قومها

وقد سبق لنا القول انَّ الخلية لا يمكن ان تكن فيها غير ملكة واحدة. وهذه قاعدة لا شذوذ لها البتة. والدليل عليه انَّ النحلات العاملات عند تربيتها للملكات

الصغيرات لا تعرضهنَّ لغضب رئيسة الخلية بل تبقيهنَّ في بيوتهنَّ ومهادهنَّ حيث نشأن ولا تفتح لهنَّ باب حبسهنَّ اي الغشاء الشمعي الذي يغطيهنَّ وانما تثقب فقط لهنَّ ثقباً صغيراً في ذلك الغشاء ومنهُ تُنفذ العاملات الغذاء للمأسورات. فاذا حان وقت خروج الثول يُفتح باب سجنهنَّ وهنَّ مذ ذاك يتصرَّفن تصرُّف الملكات

واذا طعنت ملكة القفير في السنّ وبلغت السنة الرابعة او الخامسة من عمرها عجزت عن توليد سلالة جديدة فاصبحت عبأً على المستعمرة فتسعى النحلات العاملات في استدراك الخطر وتربّي ملكة جديدة فاذا بلغت هذه اشدّها وثبت على العجوز وقتلتها واستولت على الملك بدلاً منها

وقد توفّق ارباب الزراعة من العالمين الاوربيين الى ان يتولّوا بنفسهم تقسيم الاثوال وتوفير الخلايا على منوال قانوني بحيث تبقى القفران بقوتها ولا تضعف بالهاجرة وذلك بواسطة الخلايا المستحدثة التي اتخذوها على شبه جزّارات يمكنهم نقلها كما يشاؤون. وهم يدعون تلك الخشارم بالخشارم الصناعيَّة

ودونك الطريقة التي يجرون عليها. يرقبون الخليَّة في وقت نموّ نحلها عند ما تكون الاقراص عامرة بالسلالة الحديثة من بيض ودود وصغير النحل فيفتحون الخليَّة بعد تدخينها ويأخذون بعضاً من تلك الجزّارات مع اقراصها ونحلها فيجعلونها في صندوق منفرد وهكذا يقسمون المستعمرة قسمين يبقى قسم في مكانهِ وينضمّ اليهِ النحل المتفرّق في الحقول لجنى الزهور والقسم الآخر يُجعل قريباً منهُ

وان سألت عن امر الملكة كيف تُنقل الى المستعمرة الجديدة اجبنا انَّ المربّين للنحل لا يبالون بالامر كثيراً لعلمهم بانَّ للنحل وسائل لتربية الملكات على شرط كما بيّنّا ان يكون في المستعمرة بيض لم يُفقس بعد او دودات لا يتجاوز عمرها ثلاثة ايام فان رُوعي ذلك لن تخلو الخليَّة من ملكة

هذه بعض معلومات استخلصها علماء الطبيعة من درس احوال النحل وفيها لعمري عبرة لكلّ معتبر اذ يلوح لهُ ما خصَّ بهِ الخالق حشرةً صغيرة في العين كبيرة في العمل ولو فعلت ما تفعل عن فهم وادراك لاستحقت ثناء جزيلاً بين البشر لما يرونهُ من اجتهادها وانكبابها المتواصل على الشغل واهتمامها بالخير العام ودفاعها عن جماعتها حتى الموت وعنايتها بملكتها وصغارها واستعدادها لزمن الصيف وغير ذلك مما

استحقت عليهِ ثواباً لولا حرمانها من العقل كما انها لا تستحقّ عقاباً فيما تأتيه من السيئات بحقّ عجزتها وبحقّ المهزولين من صغارها وبحقّ ذكورها وملكاتها اللواتي عجزن عن التوليد

فالواجب على الانسان ان يدرس طباع الحيوان واخلاق العجماوات فيرتشد بها للصلاح اذا رآها حسنة ويستنكف عنها اذا وجدها سيئة فانَّ الله اعطاهُ العقل لينوب عن تلك الحيوانات العديمة النطق ويتخذ عملها بالغريزة كمثال لعملهِ بالتعقُّل ليبلغ الغاية الشريفة التي انتدبهُ الله اليها فينال بخدمتهِ تعالى سعادة الدارين

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٤ الرها وملحقاتها

الرها مدينة متوسطة بيوتها مستندة الى منعطفي جبل يشرف عليها ويُدعى طوب داغ او كاراداغ. وهي مركز قضاء لسنجق منسوب اليها وفيها يقيم المتصرف المنوط امرهُ بوالي حلب. واهلها يبلغون نحو ٤٢٠٠٠ نفس منهم ٣٠,٠٠٠ مسلم والباقون نصارى ارمن غريغوريون (٧,٠٠٠) وسريان يعاقبة (٢,٠٠٠) وبروتستان (١,٥٠٠) وكاثوليك (١,٠٠٠) ويهود (٥٠٠)

ويجري في وسطها جدول صغير يُدعى خليل الرحمان ويقرب لسوارها نهر «قارا قويون» يتحدَّر في الشتاء كالسيل الجراف ويمتزج بمياه خليل الرحمان وهو النهر الذي كان يدعوهُ السريان بديصان ومنهُ اشتقّ اسمهُ المبتدع الشهير ابن ديصان الذي عُرف في القرن الثالث للمسيح. وكان اليونان يسمُّون نبع خليل الرحمان بكاليروه (Καλλιῤῥόη) وهو علمٌ لاحدى الإلهات البحرية عندهم فاشتقّ السريان منهُ اسم اورهي (ܐܘܪܗܝ) ثمّ عُرّب بالرُها و «تُرّك» باورفا. وقيل انَّ اسمها السرياني سبق عهد الرومان وانَّهُ مركَّب من «اور» اي حصن و «هُيّ» علم المكان. وارتأى بعض الكتبة انها هي «اور» الكلدان (تكوين ١١: ٣١) التي سكنها ابراهيم الخليل ومنها دعاهُ الله الى ارض الميعاد. ويوافق الامر تقليد اهلها الذين

يكرّمون خليل الله وبهِ دعوا نهرهم. وقد عُرفت الرها باسم آخر قديم لم يتفقوا في تعريف معناه وهو اذاسا « Edesse » فشاع هذا الاسم خصوصاً في الغرب (١

ومما لا يُنكر ان الرها مدينة قديمة يترقّى تاريخها الى عهد ملوك بابل ثم صارت الى اليونان بعدهم. الّا انّ اعظم شهرتها كان في زمن الاباجرة الوطنيين الذين اتّخذوها كرسيًا لدولتهم. ثم استولى عليها الرومان سنة ٢١٥ للمسيح فبقيت في ايديهم الى ان فتحها العرب وملكوها ثم عاد الروم في سنة ١٠٣١ للمسيح وانتزعوها من ايدي صاحبها نصير الدولة بن مروان وبقيت في حوزتهم الى ان سلّموها الى الصليبيين لجعلها بغدوين اخو غودفريد دي بوليون كونتيّة ثم أقطعها الامراء من اسرة دي كورتناي (de Courteney) ومنهم الكونت جوسلين (Josselin) ثم فتحها صلاح الدين سنة ١١٨٣ وتنقّلت فصارت في حكم الايوبيين واصحاب حلب والمغول والتتر حتى ضمّها الى دولة بني عثمان السلطان سليم الاوّل سنة ١٥١٧

ولعبت الرها دورًا عظيماً في عالم الدين والآداب. فبعد توغّل اهلها في الوثنيّة وعبادتهم للقوّات السماويّة كانت بين المُدن الاولى التي استنارت بضياء الايمان المسيحي. وقد نسب اصحابها تنصّرهم الى مفاوضات دارت بين ملكها الابجر اوخاما اي الاسود والسيد المسيح فزعموا ان الملك ارسل الى الرب وفدًا وهو المشار اليهِ في انجيل يوحنا (١٢: ٢٠–٢٣) حيث دعاهم « قوماً من اليونانيين صعدوا الى اورشليم ليسجدوا في يوم العيد وطلبوا من فيلبوس ان يواجهوا السيد المسيح » فيقول السريان انّ هذا الوفد كان حاملًا رسالة للابجر يطلب فيها من المسيح ان يسير اليهِ في الرها ويبرئهُ برصهُ وانّ الرب اجابهُ انهُ سيرسل لهُ احد تلاميذهُ بعد قيامتهِ وانهُ هكذا تمّ فذهب ادّي احد السبعين الى الرها وابرأ الابجر وعمّد الاهلين. ويزيدون على ذلك انّ حنانيًا رئيس الوفد الرهاوي حاول ان يأخذ رسم السيد المسيح فاخذ الرب منديلًا وجعلهُ على وجههِ المقدّس فطُبعت عليهِ صورتهُ الالهيّة

فهذه القصة شاعت في الرها منذ اواسط القرن الثالث للمسيح كما ظهر من آثارها

١) اطلب في المشرق (٨: ١٦٦) مقالة يوسف افندي غنيمة في الرها وتاريخها وآثارها وهي تغنينا عن تكرار ما جاء هناك

التي نشرت بالطبع (١ وكان اول مؤرخ الكنيسة اوسابيوس القيصري قد أطلع عليها في خزانة سجلّات الرها فنقلها في تاريخهِ الكنسي (ك ١ ف ١٣) ثم رأتها في اواخر القرن الرابع الزائرة الاسبانيَّة المسمَّاة ايتيريا (Ætheria) التي اكتشف الاب غاموريني اخبار سفرها الى الاراضي المقدَّسة فنشرها تحت اسم القديسة سيلفيا (Gamurrini : *Voyage de S^te Sylvie*) وانتشرت قصة تلك الرسالة وصورة السيد المسيح في كل الكنائس الشرقيَّة حتى أُقيم لها عيد تاريخه ١٨ آب

وبقيت الصورة والمنديل في الرها الى سنة الهجرة ٣٣١ (٩٤٣) حيث ارسل الملك رومانوس وطلب من الخليفة العبَّاسي المتَّقي ان يرسل اليهِ تينك الذخيرتين ويعدهُ بفكّ اسرى المسلمين . قال ابن العبري في تاريخه (ص ٢٨٧) « فامر المتقي بتسليم المنديل الى الرسل وارسل معهم من يتسلم الاسارى ». ويذكر المؤرخون انَّ رسالة السيد المسيح تلفت في حريق حدث في القسطنطينيَّة في القرن الثالث عشر . امَّا المنديل فاهداه ملك الروم احد دوقة جنوة بشرط ان يرسل لهُ الدوق جندًا يسعفونهُ في ردّ غارات الترك . وهذا المنديل هو اليوم على ما يقال في كنيسة الارمن الكيتاريين في البندقيَّة

هذه خلاصة قصة تنصُّر الابجر الاسود ورسالة السيد المسيح (٢ التي ينكِّب اهل النقد في عهدنا اصطناعَها . ومهما كان من امر صحتها فلا بدَّ من القول انَّ مدينة الرها كانت من اوَّل المدن التي عرف اهلها النصرانيَّة لقربها من تخوم بلاد الشام ولوجود قوم من اهاليها في اورشليم يوم حلول الروح القدس على التلاميذ وقد صرَّح القديس لوقا في سفر الاعمال بذكر « اهل ما بين النهرين ». هذا مع كثرة الآثار التاريخيَّة الشاهدة على ذلك في القرن الثاني للمسيح (٣ فلا يقبل العقل ان الرسل وتلاميذهم الذين ذهبوا الى اقاصي العالم ليبشروا بالمسيح اهملوا البلاد المجاورة لهم المستعدَّة لقبول تعاليمهم

---

١) اطلب الكتاب (G. Phillips : *The doctrine Addai*) وكتاب تيكسرون عن كنيسة الرها L. J. Tixeron : *Les Origines de l'Eglise d'Edesse et la Légende d'Abgar*) ٢) اطلبها منقولة عن تاريخ ابن العبري في مجموعنا مجاني الاب (١ : ٢٧٧)

٣) راجع في العدد السابق مقالتنا عن تنصُّر عرب الجزيرة

ويطول بنا ان نتتبّع تاريخ الدين المسيحي في الرها الّا انهُ لا يجوز ان نسكت عن خدَمها الجليلة للآداب السريانيّة اذ أُنشئت فيها تلك المدرسة العامرة التي اضحت مورداً للعلوم الدينيَّة والدنيويَّة منذ اواسط القرن الرابع وازهرت الى اواخر القرن الخامس حيث جنح اساتذتها الى البدعة النسطوريَّة فطُردوا منها وانشأوا عوضاً عنها مدرسة نصيبين وقد خرج من كلتا المدرستين رجال كبار لهم في التأليف والتدريس والنقل وسياسة الكنائس السريانيَّة والكلدانيَّة آثار استخرجها العلماء في هذه الذات الاخيرة من مدافنها كما وُجدت قوانين تلك المدارس التي تدلّ على حكمة اصحابها

ثم بقي الدين في الرها خاملاً بعد عهد الصليبيين وما حلّ على الرها من النوائب الى ان قام المرسلون اللاتينيُّون فانعشوهُ في القرن التاسع عشر لجاء الرهبان الكبوشيُّون الى اورفا سنة ١٨٤١ وشيَّدوا لهم ديراً وفتحوا المدارس وقد زرنا مدرستهم فرأيناها كاحدى المدارس الثانويَّة في سوريَّة كان يتولّى نظارتها وطنيُّنا الاخ رافائيل السحيري. وللكبوشيين هناك كنيسة جميلة فيها قبر السيد مبارك بلانشه الذي كان دُفن بعد قتاهِ في سويرك ثم نُقلت رفاتهُ الى الرها فصلينا لاجل راحة نفس هذا السيد المفضال وهو احد الثلثة الاوّلين الذين انشأوا رسالتنا السوريَّة سنة ١٨٣١ فخدموها احسن خدمة

ويساعد الآباء الكبوشيين راهبات افرنسيَّات من رهبنة مار فرنسيس اتين الى اورفا منذ سنة ١٨٨٠ ولهنَّ مدارس للفتيات يقصدها بنات النصارى والمسلمين لحسن تربيتهنَّ. وقد فتحن ايضاً مستوصفاً يتقاطر اليهِ المرضى ليتداووا فيهِ

وزرنا في الرها كنيستي الارمن والسريان الكاثوليك وهما صغيرتان واكبر منهما كنيسة الارمن الغريغوريين وما كنّا لنظنّ ان هذه الكنيسة في اواخر كانون الثاني سوف تُحرق بالنار ويُقتل فيها نحو ثلاثة آلاف ارمني حرقاً وتمثيلاً بين افظع العذابات فضلاً عمّن ذُبحوا في الاسواق فاناف مجموعهم على خمسة آلاف شخص ولولا انَّ كثيرين التجأوا الى دير الآباء المرسلين لكان عددهم مضاعفاً فحماهم الرهبان الكبوشيُّون وآووهم أياماً وافرغوا ما في ديرهم من المؤونة لسدّ جوعهم وكسوتهم وتضميد جراحهم. وكذا فعلت الراهبات بمن من النساء فاستحققنَ وسام الشرف الذي ارسلتهُ لهنَّ الدولة الفرنسويَّة مثنيةً على شهامتهنَّ

وزرنا ايضاً كنيسة اليعاقبة وهي قديمة على طرز الكنائس العتيقة وفي احد جوانبها شبه المصطبة عليها بعض الاقمشة فذاك قبر صنّاجة السريان الذي سمّاه اهل زمانهِ كنّارة الروح القدس ونبيّ السريان اعني بهِ الملفان العظيم والملسان المفوَّه القديس افرام معلم وابا الكنائس السريانيَّة فاخذنا العجب من اهماله في تلك الزاوية وتمنّينا ان تشاد يوماً على اسمهِ كنيسة كاتدرائيَّة يحجّ اليها كل الشرق المسيحي ولاسيما الطوائف السريانيَّة التي كان شرفها وفخرها المؤبَّد. وفي هذه الكنيسة اليعقوبيَّة بعض مخطوطات قديمة من جملتها نسخة كاملة من تاريخ البطريرك ميخائيل الكبير في القرن الحادي عشر كان وقف عليها اوّلًا غبطة السيد البطريرك اغناطياس افرام الثاني الرحماني ثم نشرها بالطبع في باريس الخوري شابو (J.- B. Chabot) مع ترجمتها الى الافرنسية

ومن آثار الرها بركتها المعروفة ببركة الخليل (اطلب الصورة) يُقات فيها لوجه الله صنف من الاسماك النهريَّة كالشبُّوط يُعدّ هناك بالالوف والربوات. وكنّا لحظنا مثل ذلك في بركة مجاورة لطرابلس. وعلى رأي بعض الاثريين انَّ هذا بقيَّة من عبادة وثنيَّة (ichthyolatrie) كانت مألوفة في انحاء اليونان والشرق فيكرمون السمك تذكارًا للزُّهرة

وفي اعلى الجبل المطلّ على الرها بقايا قلعة قديمة اقامها اوّلًا اليونان ثم رمَّمها العرب وقد اخذتها اليوم يد الخراب تُرى فيها اعمدة وسوار وحجارة منقوشة وهناك كتابات سريانيَّة بالحرف الاسطرنجلي بعضها نصرانيَّة وبعضها وثنيَّة وكذلك اكتشفوا في البلد على بعض كتابات وردت فيها اسماء الاباجرة وخصوصاً ابجر التاسع المتنصِّر في اواخر القرن الثاني . وقد وقفوا على مسكوكات كثيرة في الرها ترقى الى عهد الدول التي استولت عليها وقد ابتعنا منها قسماً لمتحف كليتنا

وكذلك في انحاء هذا الجبل مغاور منحوتة في الصخر للسيَّاح ومدافن قديمة عليها نقوش راقية الى عهد اليونان كانت تودع فيها نواويس الموتى

وممَّا يُرى في جوار البلدة بئر يدعونهُ نبي أيوب يزعمون ان الملك الابجر اغتسل فيهِ لمَّا شفي من برصه على يد ادّي تلميذ المسيح ويسمُّونهُ ايضاً « جبّ المنديل » مشيرين الى المنديل الذي ارتسمت عليهِ صورة ابن الله كما سبق. ومن مزاعمهم انَّ

الابجر بعد شفائهِ تنسَّك وسكن مغارة تُدعى حتى يومنا بمغارة الابجر واهل البلد من مسلمين ونصارى يزورون هذه الامكنة وينذرون لها لينالوا بركتها. ويقوم في حراسة الجبّ رجال برص يتعاقبون في نظارتهِ اباً عن جدّ وليس برص غيرهم في البلد

وطلبنا في اورفة الاجتماع ببعض رجال العلم فلم نستدلّ على احد منهم غير جناب مفتيها فأطلعنا على بعض مخطوطات مكتبتهِ الخاصّة فكان اكثرها من التآليف الدينيّة والفقهيَّة. وقد ارانا من تصنيفهِ تاريخاً لمدينة الرها كان يهتمّ بتنقيحهِ ليبثهُ للطبع

هذه بعض افادات حصلنا عليها في زيارتنا لتلك الحاضرة الشهيرة التي كانت في الاجيال النصرانيَّة الاولى نجماً على مفرق الدهر وفيها كانت تُقام اسواق سنوية حافلة كان يتوارد اليها جماهير الناس من اقاصي المعمور حتى الصين والتتر

٥ من الرها الى ماردين

قضينا في الرها يومين أرحنا النفس فيهما من مشاقّ السفر. ثم استأنفنا الرحيل بُعيد الظهر يوم الثلثاء الواقع في غرّة تشرين الاوَّل. فقطعنا سهولاً غاية في الخصب تسقيها مياه غزيرة متحدرة من جبل اورفا منها نهر بالق وهناك جداول عديدة تترقرق في القنى وتنتهي كلها الى الفرات الذي لا يبعد كثيراً. ويستغلّ الناس من تلك البقاع ضروب الغلّات والحبوب منها القمح البالغ معدلهُ في السنة ٦٦٠,٠٠٠ كيلة توازي ١٥٨,٤٠٠,٠٠٠ كيلو وقس عليهِ بقيَّة الغلّات. ومن محصولات املاك اورفة السمسم والقطن والزيت والسمن بكميات بالغة لا يستطيع الاهلون تصريفها لعدم وجود طرق لنقلها الى الاساكل وانَّما ينقلون منها قسماً صغيراً فقط على ظهر الجمال. فاذا ما انتهت السكّة الحديديَّة البغداديَّة سوف تنقل تلك الغلّات فتزيد ثروة تلك البلاد وتنمو همَّة اهلها في توسيع نطاق زراعتها

وبعد خروجنا من الرها بقليل لاحت لنا عن بُعد على يميننا الخربة مدينة حرَّان التي تكرَّر ذكرها في سفر التكوين وموقعها على مسافة ٣٥ كيلومتراً جنوبي الرُها. وفيها كان مركز مهمّ لدين الصابئة وهيكل عظيم لسين إله القمر وقد روى المؤرخون انَّ كهنة حرَّان كانوا يضحون في بعض الاحيان ضحايا بشريَّة لذلك الاله. ومن جملة من فعل ذلك القيصر يليانوس يوم خرج لمحاربة الفرس فخدعهُ كهنة حرَّان ووعدوهُ بالنصر.

وقد روى ابو الريحان البيروني في الآثار الباقية (éd. Sachau, p. 205) نقلاً عن كتاب عبد المسيح بن اسحاق الكندي النصراني في جوابهِ عن كتاب عبدالله ابن اسمعيل الهاشمي انَّ الصابئة كانوا يُعرَفون بذبح الناس وانَّ الخليفة المأمون لمَّا تحقَّق امرهم اخرب هيكلهم وبدَّد شملهم

ودخلت النصرانيَّة حرَّان رغماً عن مقاومة الصابئة وصارت كرسيًّا لاساقفة كاثوليك اشتهر بينهم تاودورس ابو قرَّة صاحب المايامر الشهيرة من علماء الملكيين في اواخر القرن الثامن ومن اقدم كتبة النصارى في العربيَّة (اطلب المشرق ٦: ٦٣٢)

كانت طريقنا من الرها الى ماردين في بريَّة قفراء ليس فيها مع خصبها سوى قرى حقيرة يسكنها قوم من الاكراد والاعراب يُعنون بجني الغلات او يرعون القطعان والمسافة بين المدينتين نحو ١٤٠ كيلومترًا يقطعها القفال بخمسة ايام. والمكارون يفضلون السير في الليل او اطراف النهار خوفاً من وطأة الحرّ التي تثقل على الركب والدوابّ معاً. غير انَّ للسفر في الليل مشاقَّهُ ايضاً فانَّ النوم يستولي على المسافر فلا يكاد يصبر عليهِ فاذا ركب خيف عليهِ من السقوط واذا مشى عثرت رجلهُ بحجارة الطريق. وان تأخر عن القفل ليرقد قليلًا على حافة الطريق رصدتهُ شذّاذ العرب وهمج الاكراد فسلبتهُ مالهُ كما عرض لاحد رفقتنا الذي لم ينجُ من رمح الاعراب الَّا باطلاق فردٍ كان في جيبه

كان محطّ رحالنا الاوَّل بعد خروجنا من الرها في قرية « بيها » فلم نجد ما نبتاعهُ لطعامنا الَّا جدياً صغيرًا جزرهُ الاعرابي بائعهُ امامنا وبعد قطع رأسهِ واطرافهِ اخرج منهُ لحمهُ دون سلخ جلدهِ بكل رشاقة وابقى لنفسهِ الجلد فاصطنع منهُ ظرفاً بربط الاطراف المقطوعة. وقام احد رفقتنا فاصلح اللحم بالشواء فاستطبناه في تلك البريَّة المقفرة

ثمَّ قمنا في منتصف الليل لنسير سيرنا ودخلنا في ولاية ذلك الكردي المستبدّ الشهير بابراهيم باشا الذي كان زعيماً لقبيلة من الاكراد تُعرف بالمليَّة واذ عجز السلطان عبد الحميد عن ردّ غارات قومهِ اتخذهم كانصار للدولة فنظم تلك الفرق الحميديَّة التي حوَّلت جهات ما بين النهرين الى مآوي لصوص وكان ابراهيم باشا من فرسانهم فلم يزل ينهب ويسلب حتى صارت نهابةً كل الانحاء الواقعة بين نصيبين

واورفا وجعل مركز حكمهِ في ويران شهر بلدة قديمة قيل انها المدعوة في عهد الرومان بتغرا نوكرت (Tigránocerte) اشتهرت بواقعة عنايسة جرت بينهم وبين الارمن وفيها الى يومنا آثار جلية تدلّ على عظمها السابق · فهذه المدينة اصبحت حاضرة ملك ابراهيم الكردي الذي جازاه عبد الحميد عن لصوصيتهِ بلقب الباشا · فبقي متسلكاً لتلك الانحاء قاهراً لكلّ سلطة نظامية الى خريف سنة ١٩٠٨ بعد اعلان الدستور حيث أُرسلت الجنود العثمانية لمحاربتهِ فكانت الدورة عليهِ وعلى اكرادهِ ومات هو قتلًا

ولمّا مررنا في املاك ابراهيم باشا لم يتعرّض لنا احد من اكرادهِ لانّ اصحاب القفل كانوا امّنوا نفوسهم بدفع شيء من المال كجزية جعلها عليهم · وممّا شاهدناهُ من مآثرهِ في مرورنا انهُ كان بلغهُ بانّ بعض عرب شمّر كانوا يرعون نوقاً كريمة عند نهر الخابور فارسل شرذمةً من اصحابهِ اغاروا عليهم واكتسحوا نوقهم ورأينا النوق المسلوبة تساق الى املاك ابراهيم باشا

وكان هذا الكردي مع ظلمهِ ميالاً للنصارى يُحسن معاملتهم ويرغبهم في المجيء الى ويران شهر للمتاجرة · ولمّا جرت تلك المذابح الهائلة في ديار بكر والرها وتل ارمن التجأ حضرة الاب دانيال الكبوشي في ماردين الى حماية ابراهيم باشا وطلب منهُ ان يردّ الاكراد عن مهاجمة ماردين ففعل واستحقّ بذلك ثناء النصارى وجازتهُ فرنسة بوسام شرف على يد الاب دانيال · الّا انهُ بعد ذلك تشدّد ايضاً على النصارى واخذ اموالهم · واغتصب من السريان الكاثوليك كنيستهم لجعلها اهراء لغلّاتهِ وبقيت تحت قبضتهِ الى ان قُتل فرُدَّت لاصحابها في ٦ ك ٢ من السنة ١٩٠٩

وفي مساء يوم الاربعاء بتنا في تلّ عبدة من القرى التابعة لويران شهر · فيها مياه جارية الى الخابور احد سواعد الفرات كما مرّ · وفيها آثار خان ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان (١ : ٨٦٧) ونسبهُ الى المجد بن المهلّب وزير الملك الاشرف موسى ابن العادل · وليس بعيداً من تلّ عبدة عيون معدنية كبريتية يستحمّ بها بعض ذوي العاهات من اهل البادية وهي مهملة وفي جنوبيها على مسافة بضع ساعات مدينة قديمة تسمّى رأس عين كان الرومان يدعونها مدينة ثاودوسيوس (Théodosio-polis) وقد دعيت برأس عين لعيون كثيرة تنبع فيها ثم تجتمع فتصير نهر الخابور

الذي يصبُّ في الفرات. ومن رأس عين هــذه كان احد مشاهير السريان في القرن السادس للميلاد ألا وهو سرجيس الرأس عيني احد نقلة كتب اليونان الى السريانيَّة وله عدَّة تآليف في الفلسفة وكان يعقوبيَّ النحلة. وفي اواسط القرن السابق اسكن السلطان عبد العزيز رأس عين قوما من مهاجري روسيَّة من قبائل الشركس فقلَّ بهم الامان في تلك الناحية حتى غزاهم العرب فطردوهم. يبلغ اهلها اليوم ٢٠٠٠ نفس. وقد اكتشف البارون فون اوبنهيم (von Oppenheim) في رأس عين على آثار جليلة يُعنى اليوم باستخراجها من ردومها

وفي غلس يوم الخميس في ٣ من الشهر اذ رأيتُ البرد قارساً نزلت عن دابَّتي لاستدفئ بالمشي وسبقت القفل قليلاً واذا اعرابيَّان قاما في وجهي فاوقفاني بحجة الكرنتينة ولم يكن وقتئذٍ ذكر للهواء الاصفر في تلك الجهات وانَّما فعلا ذلك املا بالبخشيش. لكنهما اذ سمعاني اتكلم بالعربيَّة ورأيا ان القفل ليس ببعيد لم يجسرا على أذاي فمشيت في طريقي دون معارضة. ولمَّا استوى عمود النهار رأينا واذا السماء كادت تحتجب علينا باسراب من الطيور القواطع وهي القطا من طيور البرّيَّة كانت في أبان انتقالها وقد ذكرتنا أُلوفها المؤلفة ومئات الوفها بسلوى بني اسرائيل والقطا جنس من السلوى مكتنزة اللحم كالحجل والعرب يلتقطونها ويبيعونها الواحد بفلسين

ونحن سائرون في الطريق اذ استقبلنا قوم من الاهل والاقارب كانوا قدموا من ماردين للاقاتنا ومرافقتنا فقضينا بقيَّة ذلك النهار بافراح الوصال والمؤانسة بالاحباب. وبتنا مساء في هلالي. وهي قرية ملتفَّة حول تلٍّ وفي اعلى التلِّ بيت يسكنهُ آغا المكان وهو من شيعة اليزيديَّة داخل في خدمة ابراهيم باشا. فزرناه ووجدناهُ لا يخلو من بعض المام بالتاريخ وباحوال الدولة فسرَّ بزيارتنا والقى علينا عدَّة اسئلة عن رومية العظمى. وممَّا قالهُ لنا انَّهُ وجد في كتبهِ انَّ رومية لا تصاب بعدوى منذ نُقل اليها جسم افلاطون فصار لها طلسماً. فاخذنا العجب من هذه السفاسف واذا بشيخ ضرير كان هناك اردف قائلاً: لم يعصم الله غير مدينتهِ مكَّة من كل ضلال وعُدوى. فأمَّن على قولهِ الحضور لكنَّ الآغا قاطعهُ بقولهِ: والله اعلم. امَّا نحن فقمنا مودّعين للآغا وشاكرين لطفه

واذ سنحت لنا الفرصة بذكر هؤلاء اليزيديَّة يحسن بنا ان نحيل قرَّاءنا الى ما

كتبهُ عن هذه الشيعة واصلها وتاريخها ومذاهبها واقسامها (في المشرق السنة الثانية ١٨٩٩) حضرة الاب انستاس الكرملي. وقد عدَّد هناك الامكنة التي يسكنونها وفاتهُ ذكر يزيديَّة ماردين وديار بكر وسويرك واورفا وحلب فانَّ عددهم يبلغ في تلك المدن او في جهاتها نحو ١٥,٠٠٠ نفس على انَّ عددهم الاوفر انَّما هو في جبل سنجار وفي قرى شيخان اللاحقة بولاية الموصل (١

قمنا من هلالي ساعتين بعد المغرب لنصبح في تلّ الارمن. فمشينا ثماني ساعات في ليلة مقمرة وسط سهول مخصبة تجري فيها انهار صغيرة قطعناها كنهر برجيب ونهر زرغان من سواعد نهر الخابور وكان وصولنا الى تلّ ارمن عند طلوع الشمس. وكان اهلها — واكثرهم من الارمن الكاثوليك — في ذلك النهار مقيمين عيدًا عظيمًا لرسولهم القديس غريغوريوس المنوّر وهم لابسون ثياب العيد وعلى وجوههم سمات الفرح. فاستبشروا بنا ورأوا في قدومنا مزيد افراح على العيد فاجتمعنا بهم وقدَّمنا الذبيحة المقدَّسة امام الشعب في كنيستهم المزينة بحليها الفاخرة

وقد سُررنا على الاخصّ بمقابلة كاهن تلّ ارمن بل سندها وعميدها حضرة الخوري يعقوب فرجيان احد تلامذة مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير الذي كنَّا عرفناهُ سابقًا وتواردت علينا الاخبار الثبتة بغيرتهِ فانهُ كان منذ نحو عشرين سنة لا يزال يصرف الهمَّة في تدبير رعيَّة تـلّ ارمن وتهذيب صغارها وكبارها فازدهرت بمساعيهِ ايّ ازدهار وصارت قدوة لنصارى تلك الانحاء بتقوى اهلها وآدابهم المشكورة. بل كان الاب يعقوب محبوبًا لدى جميع اهل القرى المجاورة من نصارى ومسلمين فيقصدونهُ في حاجاتهم ويتحاكمون اليهِ في خصوماتهم ويدعونهُ لعيادة مرضاهم. فعدَّ حضرتهُ مرورنا بهِ في ذلك النهار يومًا سعيدًا كان يودّ ان يطيل فيهِ بهجة الوصال لولا انَّ اصحاب القفل كانوا معوّلين على الوصول الى ماردين في اليوم عينهِ

كانت تلّ ارمن يوم اجتيازنا بها بلدة عامرة ينيف عدد اهلها على ٢٠٠٠ نفس لكن الاكراد بعد شهرين نهبوها واخربوا بيوتها وقتلوا بعضًا من اهلها وفرَّ الباقون

---

١) اطلب ما كتبهُ في السنة المتصرمة الرحَّالة هوغو غروث (Hugo Grothe) في رحلتهِ التي عنوانها (Meine Vorderasienexpedition, p. 88-٢١٥)

الى ماردين ولولا الاب يعقوب الـذي قاسى في نجاتهم اشدّ الاهوال لذهبوا جميعاً فريسة همجيّة الاكراد

وفي تل ارمن ردوم وانقاض، متكومة تدلّ على انها كانت في قديم الزمان مدينة جليلة. والمظنون انها قامت في مكان مدينة دُنيسير الشهيرة في تاريخ القرون الوسطى وكان فيها كرسي للاساقفة

ماردين شمالي تل ارمن تعلو فوقها بنحو ٣٠٠ متر فيراها المسافر في وجهو على مسافة يومين . واذا سار من تلّ ارمن عهدَها حصناً حصيناً حريزاً لا يُصعد اليه الاّ بشقّ النفس او ظنها عشّاً لا يأوي اليه سوى الغربان . فيقطع اولاً سهلاً كثير المزدرعات ثم يرقى شيئاً فشيئاً المعاطف المتصلة بالسهل الى ان يبلغ خلف الجبل الذي بُنيت المدينة في قمته فيتوغّل في عقبة كؤود ومنافذ ضيقة منحوتة في الصخر ضُربت بوعورتها الامثال فيصعد فيها نحو ساعة من الزمان الى ان يؤدي به المسير الى سور يكتنف المدينة وقد ثُلم قسم كبير منهُ بفعل الدهر واهمال الدولة

ثم تظهر المدينة منتشرة حول الجبل تركب بيوتها بعضاً فوق البعض كأنها الدرج المتصاعد وفي رأس الجبل صخور عظيمة منتصبة كأنّها قلعة حصينة شيّدتها الطبيعة لحفظ المدينة في حماها . وعلى هذه القلعة الطبيعيّة شيّد البشر قلعةً ثانية صناعيّة اكملت حرازتها فانتلفت القلعتان ائتلاف المثل بالمثل واهل ماردين يدعون قلعتهم القرقس ويروون عنها اخباراً عجيبة ومن رآها ظنّ انهُ ليس قلعة احصن منها ولا احكم بنياناً ولا ابدع منظراً . والراقي اليها يشرف على بساتينها الممتدَّة في شمالها وشرقها ويكشف على عدَّة مدن وقرى في جنوبها وغربها الى مسافة بعيدة وهو منظر فتّان لا يُحصل عليه في غيرها من البلدان

فالى تلك المشارف كان صعودنا بعد ظهر ذلك النهار والشمس ترسل علينا اشعّتها المحرقة فتذكّرنا بعض ثُقل لسان الشاقة رفيقنا في سياحاتنا السنويّة لكننا صبرنا على التعب ونحن نعلم ما سنجد في ماردين من الراحة ورطوبة الهواء والمناظر الرائعة

وما اعتلينا فوق آخر ربوة حتى سمعنا هتاف الوافدين من المدينة لاستقبالنا من اصحاب واقارب وكهنة فهتنا جليتهم ونحن لم نكن منتظرين قدومهم فدخلنا

ماردين في موكب حافل وسرنا قبل كل الى كنيسة الكلدان لنشكر الله على تسهيل طريقنا وسلامتنا (له بقيّة)

النصرانيّة وادابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

النصرانية في الجزيرة (تابع)

ثم انَّ مؤرخي الاسلام مع قلة ما كتبوا عن عرب الجزيرة في الجاهليَّة ذكروا غير مرَّة نصرانيَّتهم وصرَّحوا كما بيَّنَّا سابقاً بنصرانيَّة بني اياد بن نزار (المشرق ١٤ : ٨٨٩) سواء قيل انهم تنصَّروا قبل دخولهم في حكم الرومان او بعد خروجهم من بلاد فارس اذ لحقوا بالجزيرة. وكذلك اثبتوا نصرانيَّة ربيعة المحتلّين في ديار ربيعة وديار بكر. قال ابن قتيبة في كتاب المعارف (طبعة مصر ص ٣٠٥): «وكانت النصرانيَّة في ربيعة». وقال صاحب السيرة الحلبيَّة (ج ٣ ص ٩٥): «ومن قبائل العرب المتنصِّرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وجذام». وبقيت بعض هذه القبائل على نصرانيتها زمناً طويلاً بعد الاسلام كما ترى في الآثار الباقية وفي كتب العرب والسريان بل ربما ذكروا اساقفة لبني معدّ وتنوخ وعقيل (١. وجاء في ترجمة ماروثا اسقف تكريت انهُ جعل تحت حكمهِ ثلاثة اساقفة كانوا يدبّرون قبائل العرب وهم اسقف بيت رامان او بيت رزيق ثم اسقف بني جرم واسقف بني ثعلبة (٢

وكان نصارى غربيّ الجزيرة يتردَّدون الى مشهد القديس سرجيوس او سرجيس

---

١) اطلب الآثار السريانية بمجموعة لند (Land: *Anecdota Syriaca*, I, 47, 50) وفي منتخبات لاگرد (Lagarde: *Analecta Syriaca*, p. 108)

٢) اطلب السمعاني (المكتبة الشرقية ٢ : ٤١٠)

الشهيد في الرُّصافة (Sergiopolis) ويعظمونهُ وكانت صورتهُ مع الصليب على راياتهم الحربيَّة. قال الاخطل (اطلب ديوانهُ ٣٠٩) :

لمَّا رأونا والصليب طالعاً ومار سرجيسٍ وموتاً ناقعا
وابصروا راياتنا لوامعا خلُّوا لنا راذان والمزارعا

وقال جرير:

فبالصليب ومار سرجيسَ تتقي شهباء ذات مناكبٍ جمهورا

وقال ايضاً:

يستنصرون بمار سرجسَ وابنهِ بعد الصليب وما لهم من ناصرِ

ثامناً ويؤيد شهادة العرب عن النصرانيَّة في الجزيرة ما رووهُ عن اديرتها هناك فمَّا ذكرهُ ياقوت (في معجم البلدان ٢ : ٦٤١ — ٧١٠) دير الابيض قرب الرهـا وهو مشرف على حرَّان. ودير أحويشا بسعرت (قال : فيه ٤٠٠ راهب). ودير باثاوا بقرب جزيرة ابن عُمَر . ودير باعربا بين الموصل والحديثة. ودير باغوث بين الموصل وجزيرة ابن عُمَر . ودير باطَّا بين الموصل وتكريت . ودير باتخايال (او مخائيل) في اعلى الموصل . ودير الرُّصافة قرب الرَّقة . ودير الرُّمان بين الرَّقـة والخابور . ودير الزُّرنوق على فرسخين من جزيرة ابن عُمَر . ودير الزعفران (مرَّ ذكرهُ). ودير زَكَّى على باب الرها . ودير حاوبا من قرى الموصل . ودير عبدون قرب جزيرة ابن عمر . ودير العذارى من اعمال الرقة بين الموصـل وباجرمي . ودير قنسري على شاطئ الفرات في نواحي ديار مضر على اربعة فراسخ من منبج كان يسكنهُ ٣٧٠ راهباً. ودير الكلبْ بين الموصل وجزيرة ابن عمر كان الناس يلتجئون الى رهبانه اذا أصيبوا بداء الكلَب فيبرأون . ودير لُبَّى على الفرات من منازل بني تغلب. ودير مار سرجيس على الفرات. ودير متى بشرقي الموصل شهير . ودير مرتوما بميافارقين. ودير مر جرجيس فوق بلدَ بينها وبين جزيرة ابن عمر . ودير مرماعوث على شاطئ الفرات . ودير مر يوحنَّا الى جانب تكريت على دجلة . ودير منصور مُطـلّ على نهر الخابور . ودير يونس في جانب دجلة مقابل الموصل

غير انَّ النصرانيَّة في الجزيرة منذ اواسط القرن الخامس تشوَّهت باضاليل البدع

ولاسيا البدعة اليعقوبيّة التي انتشرت في تلك الجهات انتشار العدوى القاتلة ففصلتها عن مركز الوحدة واوقعتها في لجة الضلال

قال يوحنا الافسسي في تاريخهِ السرياني انَّ مـا جرى بين قبائل العرب المتنصرة من الجدال بسبب المجمع الخلقيدوني شتَّت شمل كثيرين منهم حتى اصبحوا خمس عشرة فرقة. ومثلهُ قال ميخائيل الكبير وابن العبري في تاريخهما الكنسي (١) على انَّ الكتبة اليعاقبة يلقون التبعة على الكاثوليك وكان الاحرى بهم ان يلقوها على سوء تصرّفهم وعصيانهم على المجمع المسكوني

وكان رهبان النساطرة واليعاقبة يتسابقون الى عرب البادية ليبثّوا بينهم زؤان اضاليلهم. كأحودمه (٥٥٦ — ٥٧٥) تلميذ يعقوب البردعيّ الذي اخبر عنهُ ابن العبري في تاريخهِ الكنسيّ (٢ « انهُ لما صار مفرياناً على الشرق ذهب ليدعو الى النصرانيّة القبائل العربيَّة الساكنة في الخيم وردَّ منهم كثيرين وجعل عليهم كهنة ورهباناً وابتنى لهم ديرين يدعى الواحد دير عين قنَّا والآخر دير جشان بقرب تكريت »

واشتهر بين اليعاقبة بعد ذلك « جرجس اسقف العرب » فان هذا كان من علماء عصرهِ نقل الى السريانيَّة عدَّة تآليف لليونان منها كتاب الاورغانون لارسطو وألَّف التآليف العديدة في شرح الكتاب المقدَّس واسرار الكنيسة وغير ذلك وكان كرسيهُ في عاقولاء بين قبائل العرب. وميامرهُ بالسريانيَّة شهيرة. كانت وفاتهُ سنة ٧٢٤ م

وفي اخبار الاخطل وقومهِ وحروبهم مع زُفر بن الحارث وقبائلهِ القيسيَّة شواهد لامعة تبيّن انَّ النصرانيَّة بقيت بين عرب الفرات زمناً طويلاً بعد الاسلام في عهد بني اميَّة

الباب التاسع
النصرانيَّة بين عرب شمالي سوريَة

انَّ في شمالي سوريّا مفاوز متسعة تمتدُّ من نواحي دمشق الى تدمر شرقي جبل

١) اطلب كتاب العلّامة نولدك في امراء غسَّان T. Noeldeke: *Die Ghassânischen Fürsten*, p. 31-32

٢) اطلب طبعة ابِّلوس (Abbelos: *Greg. Barbebraei Chron. Ecclesiasticum*, II, 100)

الشيخ ثم حمص وحماة وتبلغ الى جهات حلب وتتناول البوادي الفسيحة التي تنبسط في تلك الانحاء شرقاً حتى نهر الفرات. فهذه الصحاري الرحبة كانت ايضاً من قديم الزمان محطّاً لقبائل العرب تجول في بسطتها دون ان يضايقها سكّان المدن وهناك تسرح مواشيها وترعى ابلها في ايام الربيع فاذا اشتدّ عليها القيظ تقرّبت من الارياف او جاورت ضفاف الفرات

فتلك البلاد الواسعة كانت في القرون السابقة للاسلام دياراً لقبائل عربيّة جليلة اخصّها بنو كلب كانوا يسكنون منها القسم المتّصل بالفرات شرقاً في البيداء المعروفة بالسماوة. قال الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص١٢٩): « امَّا كلب فساكنها السماوة ولا يخالط بطونها في السماوة احد. ومن كلب بارض الغوطة عامر بن الحصين وابن رباب المعقلي »

وقال في موضع آخر عن قبائل الجهات التي نحن في صددها:

وان جُزْتَ جبل عاملة تريد قَصْد دمشق وحمص وما يليها فهي ديار غسَّان من آل جفنة وغيرهم. فان تياسرتَ من حمص عن البحر الكبير وهو بحر الروم وقعتَ في ارض بهراء. . . . ثم من إبرم ممّا يصل البحر تنوخ . . . ثم تقع في نصارى وغير ذلك الى حدّ الفرات الى بالس في برية خُساف فهي من الدهناء ومنها تخرج الى تدمر ذات اليمين وهي تدمر القديمة وهي جانب السماوة

« وما وقع في ديار كلب من القرى تدمر وسلميّة والعاصيّة وحمص وهي حميرية وخلفها مما يلي العراق حماة وشيزر وكفرطاب لكنانة من كلب ثم ترجع بكنانة كلب من ديارها هذه الى ناحية السماوة والفرات من المدن تلّ منّس وحرص وزعرايا ومنبج. ومنبج بينهم وبين بني كلاب الى حدّ وادي بطنان »

لا شكّ انَّ كل هذه النواحي التي كان عرب البادية يقيمون فيها لم تُحرَم من الدعوة النصرانية ولو لم يكن لنا حجّة لتأييد قولنا غير موقع ديارها لكفى به دليلاً لانها واقعة كما ترى بين فلسطين والشام وجهات انطاكية وحلب والانحاء. الرها وكلها بلاد اصابت سهماً معلّى من الدعوة المسيحيّة لقربها من ينابيع الخلاص فلا غرو ان تكون جرت اليها منها جداول قبل بقيّة الاقطار بعد صعود الرب بزمن قليل

وفي هذه الانحاء تعدّدت في القرون النصرانيّة الاولى الكراسي الاسقفيّة وليس

في المدن فقط بل في القرى ايضاً حتى الصغيرة (μικροκωμίαι) كما يشهد على ذلك القديس باسيليوس في رسالتهِ ١٩٠ الى امفيلوخيوس [١]

وورد في الآثار الكتابيّة او التواريخ القديمة اسماء عدّة اساقفة كانوا يسوسون الرعايا المتفرّقة في المقاطعات التي نحن في صددها وقد وقّع كثيرون منهم على اعمال المجامع النيقاوي والقسطنطيني الاوّل والافسسي والخلقيدوني

وقد اثبت حضرة الاب سبستيان رنزفال في مقالتهِ عن زينب (المشرق السنة الاولى ص ٩٨٧ — ٩٩٠) ما كان للنصرانيّة من النفوذ في تدمر والبلاد المجاورة لها في القرن الثالث للمسيح بفضل السلام السائد على تلك الانحاء. كما ظهر ذلك النفوذ ايضاً في المجمع المنعقد سنة ٢٦٦ في انطاكية للحكم على بولس السميساطي فحضرهُ ثمانون اسقفاً وحرموهُ

وقد صرَّح في ذلك القرن ديونيسيوس الاسكندري بنصرانيّة تلك الاصقاع حيث كتب للبابا القديس اسطفانس [٢] « ان اقاليم سوريّا كلها مع بلاد العرب التي تعدها بصدقاتك وبلاد ما بين النهرين تصادق على تعاليمك »

ويؤيد ذلك اخبار السيَّاح الذين سكنوا في تلك الاقفار فاجتذبوا اليهم القبائل المجاورة لهم كالقديس ملكوس او مالك الذي روى قصّةُ العجيبة القديس ايرونيموس [٣] وكالقديس اليان الواسع الشهرة في القريتين (المشرق ٩ : ٦٥٨) والقديس سمعان العمودي الذي مرَّ ذكرهُ وكان مقامهُ في شمالي سوريا في الجبل المنسوب اليهِ. وقد افاد تاودوريطس [٤] في تاريخهِ ان الاسماعيليين اي العرب كانوا يتقاطرون الى عمودهِ وانَّهُ نصَّر منهم الوفاً مؤلّفة (Ismaelitarum millia innumerabilia). وفي حياة القديس نونوس انهُ لما كان في بعلبك عمَّد ثلاثين الفاً من العرب [٥]

ويُضاف الى ما تقدَّم ما وجدهُ الاثريون في شمالي سوريّا من الآثار النصرانيّة

١) اطلب مجموعة مين (Migne, P. G. t. 32, col. 697)

٢) راجع التاريخ الكنسي لاوسابيوس الكتاب السابع الفصل الخامس

٣) اطلب اعمال الآباء اللاتين (Migne P. L. XXIII, 55)

٤) اعمال الآباء اليونان (Id., P. G. vol. 74 col. 1041)

٥) فيها (Id., P. G. vol. 83 col. 668)

المديدة كبقايا اديرة واخربة كنائس ونقوش نصرانيّة بديعة غنيت بها متاحف اوربّا وقد رأينا بعض تلك الابنية في سياحتنا الى بادية تدمر (في المشرق ٩ : ٩٥٣)

ومن ذلك اثر فريد اكتشفهُ رحّالة اوربي قبل ١٢ سنة في زَبَد ليس بعيدًا عن حلب فيهِ كتابة بثلث لغات يونانيّة وسريانيّة وعربيّة تاريخها باليونانيّة سنة ٨٢٣ للاسكندر الموافقة لسنة ٥١٢ للمسيح. وهو اوّل اثر يُعرف بالقلم العربي كُتب ١١٠ سنوات قبل الهجرة. وهذا الاثر نصراني محض نُقر في حجر ليوضع على مشهد أُقيم هناك لتذكار الشهيد القديس سرجيوس. وهذا يثبت ما قلناه سابقًا عن تعبُّد العرب لذلك الشهيد. واخبر ساويرس البطريرك الدخيل وزعيم البدعة اليعقوبيّة ان عرب البادية كانوا اذا تنصَّروا يطلبون المعمودية في كنيسة القديس سرجيوس في الرصافة حيث قُتل شهيدًا (روى ذلك في ميمرهِ السابع والخمسين الذي قالهُ في ٧ تشرين الاوّل سنة ٥١٤ اعني سنتين بعد تاريخ الاثر المذكور) (١

ومن الشواهد التاريخيّة المثبتة تنصُّر العرب في شمالي سوريّا ما رواه ميخائيل الكبير وابن العبري عن يوحنّا اسقف افسس من كتبة القرن السادس انهُ لمّا حصل الانقسام بين الملكيين واعداء الجمع الخلقيدوني تفرَّق العرب النصارى وسكن منهم قسم في بادية تدمر في النبك والقريتين وحُوّارين. وبقي هؤلاء العرب على نصرانيّتهم زمنًا طويلًا بعد الفتح الاسلامي كما يشهد عليهِ ياقوت الحموي (٤ : ٧٧) حيث قال عن القريتين في زمانهِ « انَّ اهلها كلهم نصارى »

ولنا في كتب العرب ما يزيل كل ريب عن القبائل المتنصرة في شمالي سوريّة وقد رأيت في ما نقلناهُ عن وصف الجزيرة للهَمْداني انَّ السهول الواقعة بين الشام وحلب والفرات كان معظم سكّانها من غسّان وتغلب وتنوخ وعلى الاخص من بني كلب الذين تفرَّدوا بسكنى السماوة الممتدَّة من الشام الى نواحي الموصل وكانوا يسكنون خصوصًا في جهات تدمر وسلمية حتى سُمّيت تلك الجهات بادية كلب. فهذه القبائل كلها كانت نصرانيّة فامَّا غسّان وتغلب وتنوخ فقد مرَّت الشواهد على نصرانيتها فبقيت قبيلة بني كلب. ودونك الادلّة على تديُّنها بالدين المسيحي

---

١) اطلب مجلة الابحاث الشرقية (Riv. d. Studi Orientali, I, p. 577-587)

ان بني كلب بطن من قضاعة وهي القبيلة اليمنيَّة الاصل التي اجمع الكتبة على تنصُّرها عموماً كابن قتيبة واليعقوبي والنويري وخصُّوا بالذكر بعض بطونها كبني سليح وبني جرم. ثم ليس في كتب المؤرخين اشارة الى شرك كلب بل كثيراً ما يصرحون بنصرانيَّة اعيانهم كبحدل بن بُحَيف من ساداتهم وهو ابو ميسون زوجة معاوية وكالفرافصة الكلبي ابي نائلة زوجة الخليفة عثمان بن عفّان

وذكر في المقتضب لياقوت (ص ٣٦) وفي تاريخ ابن عساكر في ترجمة نائلة « انَّ بني كلب كلهم كانوا نصارى ». وكذلك ذكر ابن خلدون في تاريخه (٢ : ٢١١) انهم دخلوا في دين النصرانيَّة

ولمَّا ظهر الاسلام كان بنو كنانة وبنو كلب من جملة الذين لم ينكروا دينهم كما اخبر بذلك ابن هشام في سيرة الرسول (éd. Wüstenfeld, p. 282) وكذا روى ياقوت في المقتضب عن مذكور كلب اي اهل البادية فقال: « اسلمت كلب غير مدرها كانوا نصارى » وبقي الذين اسلموا منهم على عاداتهم النصرانيَّة كما روى في كتاب البلدان لابن الفقيه (ص ٣١٥) فقال عنهم « انهم مسلمون في اخلاق النصارى » واخبر ابن قتيبة في عيون الاخبار (ص ١٧٤) والجاحظ في البيان والتبيين (٢ : ٦٢) انَّ بعض من اسلم منهم كانوا يضربون الناقوس ويترددون الى الكنيسة التي تعمدوا فيها

وكان من جملة امرائهم الذين يتولون تدبيرهم ابو كرب الذي عُرف بنصرانيته فسلَّمه يستيانوس الملك تدبير قبائل البادية كما روى المؤرخ بروكوبيوس (١

وربما دعا المؤرخون هذه القبائل المتنصرة بالمستعربة واليهم التجأ الروم عند ظهور الاسلام لمحاربة خالد بن الوليد. قال ابن البطريق في تاريخه انَّ هرقل « استجلب المستعربة من غسان وجذام وكلب ولخم وكل من قدر عليه من الاعراب وأمَّر عليهم قائداً من قوّاده يقال له ماهان » (٢

فترى من هذه النصوص ان كتبة العرب ايضاً يوافقون اليونان والسريان في نسبة النصرانيَّة الى القبائل المتفرقة في شمالي سوريَّة (له بقيَّة)

١) اطلب (Procope, de B. P., I, 19)

٢) اطلب الصفحة ١٦ من الجزء الثاني من طبعتنا

كلمة في مجلة الكلمة

انتقاد للاب لويس شيخو اليسوعي

﴿ مقدمة ﴾ في نيويرك عاصمة الولايات المتحدة « مجلة روحيّة ادبيّة تاريخيّة كنائسيّة تصدر مرّتين في الشهر لمنشئها الاسقف رفائيل هواويني » وهي منذ ابتداء هذا العام الجديد قد دخلت في سنتها الثامنة وترى شعارها على غلافها قول الرسول الى تلميذهِ تيموثاوس « اكرز بالكلمة واعكف على ذلك في وقتهِ وفي غير وقتهِ »

وما كنّا لنتعرّض لهذه المجلة في ادراك غايتها الشريفة حتى ولو كرزت بالكلمة في غير وقتها ما دامت جاريةً على خطة العدل بل نُسَرّ ايّ سرور اذ نشاهد من يعضدنا في مناصرة الدين والدفاع عن حياض الآداب سواء كان منّا او من غيرنا اذ نعدّ منّا كلّ من ليس هو ضدّنا.

والحقّ يقال انّنا وجدنا في « الكلمة » عدّة مقالات اثنينا على كتبتها منها تفاسير حسنة لبعض فصول الكتب المقدّسة ومنها شروح لبعض الطقوس البيعيّة ومنها مباحث روحيّة او كنسيّة جديرة بالذكر وبينها ايضاً ردود على اهل الكفر كرنان وتلستوي وغيرهما وتزييف لاعمال مستكرهة يأتيها اصحاب الخلاعة والماسون

فكلّ ذلك ممّا يستوجب الثناء على مجلة الكلمة لو لم يتحرّش منشئها للدين الكاثوليكيّ في اشياء كثيرة لم يُصب في رواياتها البتّة بل اظهر من التطرّف ما لا يليق بمقام اسقف مثلهُ . ولا يعذرهُ كونهُ نقل بعض هذه المرويات عن منشورات غيرهِ فانّ الرجل العاقل لا يروي شيئاً ما لم يتحقّق صدق قائلهِ ويسبرهُ بمعيار الانتقاد والتروّي . ودونك الشواهد على قولنا ننقلها من بعض اعداد الكلمة في سنتها الاخيرة :

فمن الامور التي ابدى فيها منشئ الكلمة حقدهُ على الكنيسة الكاثوليكيّة مسألة الاب مكسيليان الكاهن الكاثوليكي واميرسكسونيا . وقد روت الجرائد الاوربيّة الصادقة ما نشرهُ هذا الكاهن الشريف المترور بصفاء نيّتهِ من المزاعم الدالّة على قلّة ترويهِ في البحث اذ كتب مقالة في اوّل عدد من مجلة جديدة اسمها

« رومية والشرق » شحنها بالاقوال غير السديدة بل المناقضة تماماً للحقائق التاريخيَّة وتعاليم الكنيسة . فما وقف عليها قداسة الحبر الاعظم حتى نشر منشوراً فنَّد فيهِ تلك المزاعم الباطلة اجمالاً وبيَّن انَّ كاتبها لم يتحرَّ البحث في ما نشرهُ وانَّهُ انخدع بسذاجة فطرتهِ وحسن طويتهِ . ثم قام الكتبة الكاثوليك وزيَّفوا الاضاليل المتعددة التي في تلك المقالة فصلاً فصلاً مع ثنائهم على فضل الكاتب وصدق سريرتهِ كما ظهر برسالة اسرع الاب مكسيميليان فقدَّمها لقداسة الحبر الاعظم معلناً بخطاءهِ ومصرّحاً بخضوعهِ وانابتهِ . فكان خضوعهُ دليلاً لامعاً على سلطة الكنيسة المقدَّسة في كل ابنائها من اي مقام كانوا حتى الامراء منهم ولم يجد احد من الكاثوليك بل ملك سكسونيا نفسهُ اخو الكاهن المذكور ان البابا بيوس العاشر تجاوز في عمله حدود الحكمة

الّا انَّ بعض اعداء الكنيسة رأوا في هذا الحادث فرصة ليتحاملوا على الديانة الكاثوليكيَّة . وكان من جملتهم صاحب الكلمة الذي لم يكتفِ بان نشر رسالة الاب مكسيميليان في اعداد مجلته دون ان يروي تفنيدها تاريخيّاً وعلميّاً للحبر الاعظم ولكتبة الكاثوليك بل زاد عليها اقوالاً ضاعفت اغلاطها واضاليلها وبينما كنَّا نرى سموَّ الكاهن يجاهر بغلطهِ ويسترجع ما كتب كان منشئ الكلمة يستصوب ذلك الغلط ويستقبح خضوع الاب مكسيميليان لوثانهِ وينسب اليهِ سوء التصرف وذلك باقوال لا يقدم عليها رجل كريم مع احد امثالهِ فضلاً عن اميرٍ شريف كالاب مكسيميليان فدعا اقرارهُ بغلطهِ « مخالفة لحريَّة ضميرهِ » (ص ١٤٤) و« تذلُّلاً » و « خضوعاً اعمى » و " انهُ اقدم على ندامتهِ اما خوفاً من تهديدات او اذعاناً لِمُداوات (كذا) حتى يكون تظاهرهُ بالندامة والخضوع كحجة بيد الفاتيكان على طمس نور الحقيقة الذي يسطع من خلال كل سطر من سطور مقالتهِ البديعة الخ » (ص ١٤٤) فندع الحكم للقرَّاء في هذا الكلام القارص وما اشبههُ . ولو كان منشئ الكلمة عادلاً لَروى تفنيد الحبر الاعظم وعلماء الكاثوليك لمقالة البرنس فامكن القرَّاء ان يعرفوا اين الحقيقة بالمقابلة لا بل كان يكفي السيد هراويني ان يمن النظر في تلك المقالة ليرى اغلاط صاحبها العديدة لايرضى ببعضها الروم نفسهم

ومن عجيب صنيع الاسقف رفائيل انَّهُ روى في عددهِ السابع (ص ١٤٣) ما

كتبهُ لسموّ البرنس ذلك الراهب الجاحد ياكنتوس لويزون (H. Loyson) وجواب الكاهن الامير عليهِ حيث يحضُّهُ ان يعود هو ايضاً الى حجر الكنيسة بالتوبة الصادقة. ثم ما لبث في العدد ١١ (ص ٢١٤) وقال انَّ هذا الجواب الذي رواهُ انَّما هو «تزوير جزويتي» ناقلًا الخبر عن مجلة «بنتينوس» الاسكندريَّة. فزاد الطين بلةً وفي قدرهِ انحطاطاً اذ انَّ الجرائد العديدة التي روت تلك الرسالة (مع قطع النظر عن صحّتها) ليس بين محرريها راهب يسوعي واحد. وبتسميتهِ لنا «جزويتاً» بيَّن لقرائهِ حسن ذوقهِ ولطف طباعهِ كانَّهُ اذا دعانا «جزويتاً» سوَّد وجهنا خزياً ونحن مهذبو ابناء طائفتهِ واشراف ملّتهِ الاورثذكسيَّة

ثم فليسمح لنا صاحب مجلة الكلمة ان نسألهُ اين وجد في منشور قداسة الحبر الاعظم للاب مكسيميليان ما نسبهُ اليهِ (ص ١٤٢) حيث قال: «على انَّ الاغرب من هذا هو ان هذا المنشور البابوي يحصي في عداد الهرطقات القظيمة مسحة الميرون المقدَّسة التي يتممها الكهنة الشرقيون» فيا لله أليس عار على اسقف ان يأتي بمثل هذا المدَّعى الزور وليس في منشور امام الاحبار شيء من ذلك. وكفى بقولهِ برهاناً على انَّ الاسقف رفائيل كتب ما كتب دون ان يطَّلع على منشور البابا بيوس العاشر او انَّهُ لم يفهم معناهُ ودونك ما قال الحبر الاعظم:

«ومن الضلالة ايضاً قول الكاتب انَّ كل كاهن يحقّ لهُ ان يمنح سرّ التثبيت ويكون فعلهُ صحيحاً:

فمعنى هذه العبارة انَّ سرّ مسحة الميرون كما علَّمتهُ الكنيسة في كل الاجيال لا يجوز ان يمنحهُ الكهنة (على الاقل في الكنيسة اللاتينيَّة) الَّا بتفويض من الحبر الاعظم. لان خادم الميرون انَّما هو الاسقف كما يظهر من سفر الاعمال (٨: ١٧). والعادة الجارية في الكنائس الشرقيَّة ان يمنح الكاهن سرّي العموديَّة والميرون معاً فقد تساهل الباباوات بترخيصها لكهنة الكنائس الشرقيَّة

فانظر يا رعاك الله الفرق بين قول الحبر الاعظم وما نسبهُ اليهِ الاسقف هواويني في مجلة الكلمة وليحكم المنصفون

ونزيد برهاناً آخر على عدم انصاف الكاتب انهُ نقل رسالة البرنس مكسيميليان الكاثوليكي التي كانت هفوةً منهُ ولم يُفد قرَّاءهُ بترجمة رسالة اخرى نشرها سيادة

المطران جراسيموس مسرّة مطران بيروت على الروم الارثذكس في مجلّات اوربا واتى فيها بكلام مملوءٍ رقّة عن اتحاد الكنيستين. فما له سكت عن هذه المؤلّفة للقلوب (وان اشار اليها ص ٣٣٢) ثم اثبت تلك الباعثة للاحقاد ؟

*

وقد ظهر مرارًا انوى بغض منشئ الكلمة للكنيسة الكاثوليكيّة ولحبرها الجليل الذي اجمعت كل الممالك على اكرامه والاقرار بفضله السامي وذلك بما نقلهُ في عدده ١٠ (ص ١٩٥) من « البابوية والحكومات الاوربيّة » فزعم انَّ الحبر الاعظم بتأثيره الجليلة في الاضاليل العصريّة هيَّج على الكنيسة الكاثوليكيّة الحكومات الاوربيّة وليس هناك هيجان البتة الّا من بعض الافراد العصاة المتسلّين لتلك الاضاليل التي تتهدَّد الكنيسة الكاثوليكيّة بل تتهدَّد كل دين. فيا ليت شعري اما كان احرى بالاسقف رفائيل ان يشكر قداسة البابا على وضعه سدًّا بإزاء الكفر والفساد وهما السلّ الادبي والسلّ الديني اللذان وصفتهما الكلمة في عددها التالي (ص ٢٠٧ — ٢٠٨)

ومنها ما ذكرهُ عن تلك الحفلات الشائقة التي أُقيمت في اميركا في نسبة اليوبيل الذهبي للكردينال جيبونس حيث اتفق على اطراء ذلك الرجل العظيم كل الاميركيين على اختلاف نزعاتهم واديانهم فما كان من امر السيد هواويني الّا ان شذَّ وحدهُ عن تلك المظاهرات ويا ليته سكت لكنهُ روى ذلك الخبر (ص ٢٧٢) تحت عنوان « سياسة التملّق والمداهنة » ولام الكردينال جيبونس عن رضاهُ من مدح الاميركيين حتى الرئيسين روزفلت وتافت لوطنيّته. زه! زه!

ومنها ما رواهُ في عدده ١٦ (ص ٣١١) عن منشور البابا في اختصار عدد الاعياد في الكنيسة اللاتينية. وكل يعرف انَّ قداسة الحبر الاعظم لم يأتِ على مثل هذا الامر الّا بعد الفحص عن الاسباب الموجبة لذلك ومراعاةً لاحوال الدول

لكنَّ السيد هواويني على مألوف عادته رأى في هذا العمل البابوي مطمعًا فعاد بعد حين (في العدد ٢ من السنة الثامنة ص ٤٧) وزعم انَّ المنشور البابوي هيَّج خواطر الاساقفة الكاثوليك « وان الحضرة البابوية اضطرَّت الى اصدار اوامر جديدة تزيد عدد الاعياد » وليس في كلّ هذه الروايات ذرَّة من الصحة وانما هي

اختلاقات محضة من صاحب الكلمة . ومن الدلائل التي تبيّن تطرُّفهُ النميم انهُ زعم (ص ٤٨) ان البابا جعل عدد اعياد البطالة « اقلّ باربعة من عدد التي سمحت بهِ الثورة الافرنسيَّة » وكلّ يعلم حتى صغار مدارسنا انّ اعياد البطالة في فرنسة هي اربعة أمَّا المنشور البابوي فجعلها ثمانية اعني انها « أكثر باربعة » من عدد تلك الاعياد لا « اقلّ » . امَّا قولهُ « بانّ الثورة الافرنسيَّة سمحت بهذا العدد » فانَّهُ دليل جديد على خبطهِ لانّ الثورة الفرنسويَّة كانت ابطلت كلّ الاعياد حتى الآحاد وانَّما الحبر الاعظم بيوس السابع بمعاهدته مع نابوليون حصر تلك الاعياد في اربعة . فانظر كم من الاغلاط في بعض اسطر . وعليهِ نذيل قول الكاتب حيث قال (ص ٤٨) « فكان عملهُ هذا (اي عمل قداسة البابا) باعثاً على الظنّ بانّ البابا بيوس العاشر الذي اظهر صرامة شديدة في المضايقة على المودرنستيين هو نفسه مودرنستي في الخفا » . فما احلى هذا التهكُّم في فم السيد هراويني غير انّ سهمهُ طاش فعاد الى نحرهِ .

وفي هذه الصفحة عينها نبذة عنوانها « الاكليروس البابوي والحرب الايطاليَّة التركيَّة » كلها طعن وثلب نقلها صاحب الكلمة عن جرائد معادية للحبر الاعظم كذَّبها المسلمون انفسهم (١ ولولا ذلك لما كان جلالة السلطان محمد الخامس من جملة الملوك المرسلين لرأس الكنيسة المنظور التهانيَّ بقدوم العام الجديد

وفي العدد ١٤ (٤٦٧ — ٤٧٢) بحث طويل عنوانهُ « فصل من الدسائس البابويَّة لتمريق ابناء الكنيسة الارثذكسيَّة » جاء فيهِ الاسقف بالعجائب والغرائب فزعم هناك انّ الكاثوليك ولا سيما رهابين اللاتين كما يدعوهم يتخذون في روسية « كل طرق الدسائس والمكايد ووسائل الاكراه والخداع لتمريق الروسيين الارثوذكسيين الى الكاثوليكيَّة » بل زعم انّ « الجزويت » في مقدَّمة اولئك الرهابين في هذه الاعمال المذمومة وللكاتب هناك اكثر من اربع صفحات يشنّع فيها اعمال اللاتين وقحة الجزويت وينادي بالويل والثبور بحيث يظنّ القارئ انّ الكثلكة كلها قد اقتحمت على روسية الارثذكسيَّة لتستأصل شأفتها وتبيد مذهبها

١) وفي الكلمة عينها تكذيب لهذه الاشاعات في مقالة الشمَّاس عمانوئيل ابي حطب (ص ٤٢٩—٤٣٠) حيث يلوم جريدة البلاغ عن اهانتها للحضرة البابويَّة « لمجرَّد كونها الرئاسة الدينيَّة للديانة التي يدين بها الطليان » فكان حضرة الشمَّاس انصف من سيادة الاسقف

وان سألت ما في كل هذا الصراخ من الصحة اجبنا انهُ لا احد يجهل مضايقات روسيَّة على البولونيين منذ مئة سنة بليف وكيف سحقت بالف وسيلة ان تدخلهم في المذهب الارثذكسي شاؤوا او أبوا وهم لا يزالون يجاهرون بإيمانهم الكاثوليكي ويقاسون لاجله ضروب العذابات. وكانت روسيَّة ظنَّت في هذه الازمنة الاخيرة انَّ هؤلاء الكاثوليك نسوا دينهم واضحوا عريقين في الارثذكسيَّة فلمَّا نادى القيصر بحريَّة الاديان قبل خمس سنوات اسرع اولئك المقهورون الى المجاهرة بالكثلكة وعددهم يبلغ نيِّفًا ومئة الف فهذا ما حرَّك بغض الارثذكس عليهم فاخذوا يندّدون بالرهبان اللاتين زاعمين انهم خدعوا اولئك الروثنيين كما نقلت الامر جميع الجرائد الحرَّة ولذلك عادت روسيَّة وألقت فعلًا سنَّة حريَّة الاديان خوفًا من ارتداد كل الروثنيين الى الدين الكاثوليكي

امَّا نسبة صاحب الكلمة الى « الجزويت » هذه الدسائس المزعومة في روسيَّة فهو افتراء. فطلع اذ كلٌّ يعلم انَّ الدولة الروسيَّة نفت اليسوعيين من بلادها منذ ٩٠ سنة فان دخل احد منهم الى اقطارها حُكم عليه بالسجن المؤبّد او بالنفي الى سيبريا. فلينظر القرّاء مبلغ السيد هواويني من العلم والانصاف . ومثلهُ زعمهُ (في الصفحة ٣٣٣) ان « الجزويت يتجوَّلون في مدن روسيَّة بلباس علماني » وان « الاب فرتسنسكي » هو زعيمهم فكلهُ افتراء اذ ليس في رهبانيتنا احدٌ بهذا الاسم. وان امكن الكلمة ان تأتي بالبراهين على قولها شكرنا فضلها. ولكنَّنا لا نشكُّ في انَّ ضربًا في الهواء لا تؤذينا

بل لا يخفى انَّ صاحب الكلمة يشرفنا اذ يضربنا بقفًّا عاتهِ كما يشرّف الكنيسة الكاثوليكيَّة فلا يدع فرصة الّا ويخصنا بالذكر فتارةً ينسب الينا اسباب الثورة البرتغاليَّة (ص ١٩٣) وتارة يحدِّث قرّاءهُ عن تزويراتنا (ص ٢١٩) ودسائسنا (ص ٣٣٣) وكأنَّهُ يدعونا الى « التساهل الديني » (ص ١٦٦) في ذكرهِ رواية اليهودي التائه في بيروت ؟ وقد حكم في تمثيلها المسلمون نفسهم حكمًا انصف من حكمهِ (راجع كتاب معرض الافكار الذي جمعهُ جناب يوسف افندي البلبوني)

وتراه مع هذا راصدًا لاحوال الكاثوليك حتى اذا وجد فيهم مغمزًا للحال صوَّب اليه سهام الملام وهو في الغالب غير مصيب

في ذلك أنهُ استمع مناظرات الكاثوليك والبروتستانت في اميركا الشمالية (ص ٦٧) كأنهُ يريد ان يستسلم الكاثوليك للاضاليل البروتستانية فيتجروا معهم بالديانات

ومنها انهُ انتقد (ص ٤٤ من السنة الثامنة) على السيد «أمت» رئيس اساقفة باريس تحريمهُ لكتاب الكاهن كلارا في «زواج الكهنة» كأنهُ يريد ان يثقّل الاكليروس الغربي بأغلال الزواج التي اقتدت الاكليروس الشرقي شيئاً من شرفهِ وغيرتهِ (راجع مقالتنا في زواج الاكليروس في المشرق ٩: ٨٠٠) · واغرب من ذلك انهُ اخبرنا (ص ٥٢) انَّ المترملين من كهنة الكنيسة الارثذكسية طلبوا ان يتزوجوا ثانيةً وانَّ المسألة تحت البحث «وسيجرون بموجب قرار الاكثرية» · فانظر رعاك الله ما صار اليهِ جهل صاحب الكلمة بقوانين الكنيسة والمجامع!

ومنها انهُ جعل (٨: ٣٧) الكاثوليك بمنزلة البروتستانت والماسون في معاداة الارثذكسية

ومنها انهُ نسب (ص ١٧٣) الاستيلاء للآباء الفرنسيسكان على قدامة الحبر الاعظم لانهُ (على قولهِ) «اصدر رتيباً بالغاء استقلال الطغمة الفرنسيسكانية اعتباراً من اوَّل تشرين الثاني الماضي وبانضمامها الى الطغمة الكبوشية» وهو خبر عارٍ من كل صحة رواهُ فقط تنديداً بالكرسي الرسولي بل خلط شعبان برمضان

وكم هناك من تسميات وتلميحات يطول بنا ذكرها تُشعِر كلها بانَّ صاحب الكلمة يُسكت في ضميرهِ صوت الحقّ والعدل ليتشفى من الكنيسة الرومانية امّ الكنائس وسيدتها · فان رأى في عينها قذًى أو ليس الاجدر به ان ينكر في الخشبة الانجيلية ولا عجب ان يطعن في الكاثوليك واليسوعيين وهو يطعن في الكنائس الارثذكسية وكفى شاهداً على قولنا ما تيلَّنا الكلمة من اصداء الخصامات الواقعة بين الروم والاخطار المتعددة التي تتهدد الارثذكسية · فليراجع مثلاً ما كتبهُ (ص ٢٨) عن الانشقاقات الشائنة الواقعة «بين البطريركية الاورشليمية واعضاء اخوية القبر المقدس اليونانية» وعن قلاقل تلك الكنيسة واضطراباتها (ص ٣١٢ و ص ٤٣٣) وما اخبرهُ عن اولئك الرهبان الذين دعاهم «ذئاباً خاطفة في لباس حملان» (ص ٣١) وما رواهُ عن تداخل الاضاليل البروتستانية

بين الارثذكس (ص ٣٠) وكذا اللاسونيّة (٨:٣٥–٣٧) . وما افادهُ عن تصرُّف البطريرك داميانوس باوقاف القبر المقدس (ص ٣٣) وما حصل من الخصومات بين الشعب والبطريرك فوتيوس الاسكندري (ص ٢٧٣) وبين اهل مرجعيون والبطريرك الانطاكي (ص ١٣٥) والخلافات الواقعة في ابرشيّات بيروت (٨:٨٢) وزحلة (٨٣) وحلب (٨٤) وطرابلس (٨٥) أفهذا كلهُ لا يكفي لسيادة اسقف بروكلن ليدع الكاثوليك وشأنهم. ويصرف همهُ الى اصلاح ما نسبهُ من الخلل الى ذويه . ارشدهُ الله الى الصواب والانصاف

الترقي العلمي في العام المدبر

نشر للاب لويس شيخو اليسوعي

نجعل هذه النبذة العلميَّة كملحق لحوادث العام الماضي التي رويناها قبلًا (ص ١ و١٢٦) وليس فكرنا ان نستقري العلوم كلها لانَّ المجلّات العموميَّة تضيق عن وصف ما يبدعهُ العلم كل يوم من الاختراعات في ضروب الفنون والمعارف فنكتفي بلباب ما روتهُ المنشورات الخاصَّة

١ علم الهيئة

في منظر الافلاك جاذبٌ عظيم الى رصد اسرار السماء . ولذلك ترى المراصد تتوفَّر في كل انحاء العالم المتمدّن وترتبط بعضها ببعض لزيادة الفائدة بجمع الكلمة . وممَّا يساعد على ضبط الارصاد وضع خارطة عظيمة تشتغل في رسمها عدَّة جمعيَّات علميَّة دوليَّة وقد ظهر منها الى الآن عدَّة قطع كبيرة رأيناها في مرصدنا في كسارا فهي حقيقة من الاعمال الشريفة التي ستجعل للقرن العشرين ذكرًا مخلدًا . ولفرنسة في هذا العمل حصَّة كبيرة وكذلك المرصد البابوي في رومية يتولى قسمًا منهُ

ثم انَّ فنّ الفوتغرافيَّة قد افاد افادة عظيمة في كشف نجوم صغرى لم تستطع الآلات الفلكيَّة المكبّرة الوقوف عليها . فصار التصوير الفوتغرافي شقيقًا للمجهر في رصد الافلاك وفتحت اكتشافاتهُ بابًا للابحاث بل اتت بمشاكل عويصة يسعى في حلّها الفلكيون ولم تخطر سابقًا على بالهم

وممّا وجّه اليهِ العلماء نظرهم في العام الماضي جملة من النجوم تظهر في السماء على اقدار مختلفة فعدّدوا رصودها وبحثوا عن تعليل الاختلافات الجارية فيها

وكذلك عني الفلكيون بدرس المذنَّبات بعد ظهورها في العام السابق حيث لاحت المذنبات الجميلة كمذنبة اينس (Innès) التي سطع ضوءها وكان ذنبها لامعاً منتظماً ثمَّ مذنبة دانيال التي جاءت على غير انتظار ثم مذنَّبة هلّاي المنتظرة منذ ٧٠ سنة والمزيّنة للسماء ببهائها فكلّ هذه المذنَّبات وغيرها ايضاً اصغر منها مكّن الفلكيون من درس احوالها واخذوا منها الوفاً من الصور الفوتغرافيّة اعتنوا في السنة ١٩١١ باستخلاص مكنوناتها ومعرفة خواصها فوجدوا بينها اختلافاً عظيماً من حيث نواتها ونور اذنابها وهيئات تلك الاذناب. وقد جاءت في هذا العام مذنَّبات أُخرى ساعدت العلماء على مواصلة دروسهم في تلك النجوم الغريبة اخصّها مذنَّبة بروكس التي كنّا نراها بالعين المجرَّدة في شهري ايلول وتشرين الاوَّل ونُفِثت بريشاتها المتعدّدة. وقد ظهرت في السنة سبع مذنَّبات غيرها

وممّا افادنا علماء الهيئة في العام المنصرم ضبط المسافة التي تفصل القمر عن الارض فان علماء مرصد غرينويتش كرّروا اقيستها وضبطوا حساباتهم فكانت نتيجة ابحاثهم انَّ سيّارتنا تبعد عن الارض ٣٨٤,٤٤٦ كيلومترًا اعني بزيادة ٤٦ كيلومترًا عمّا ترويه الكتب الفلكية. فلا يزال القمر كما ترى في جوار الارض ولو قصد احد الطيّارين قطع هذه المسافة بطيّارته لكفاه ١٦٠ يوماً وثلاث ساعات بطيران متواصل بمعدل ١٠٠ ك في الساعة ليبلغ الى القمر وذلك قريب بالنسبة الى بقيّة السيّارات وما قولك بالنجوم التي يقطع النور المسافة بين اقربها الى ارضنا ازيد من اربع سنوات وهو يقطعها بين القمر والارض باقلّ من ثانيتين بمعدَّل ٣٠٠,٠٠٠ ك بالثانية

ومن الحوادث الفلكية المهمّة في العام الماضي اصدار الوزارة الفرنسويّة امرها بتطبيق ساعاتها مع هاجرة غرينويتش والعدول عن زمن باريس المتوسط فأُخرت الساعات تسع دقائق و٢١ ثانية وبذلك تمَّ اتفاق كل الدول على تعيين ساعة واحدة للهاجرة تدلّ على الزمن المتوسّط مع قطع النظر عن دوران الشمس والوقت الحقيقي الذي يختلف كلّ يوم ولا يمكن الاستناد اليهِ في المعاملات (راجع مقالة تقويم البشير في اليوم الشمسي والزمن المتوسّط)

٢ الطبيعيات

منذ اكتشف الطبيعيون آلتي الكينيتغراف والفونغراف اي تصوير حركات الاشخاص وتمثيل اصواتها اخذوا في البحث عن تركيب آلة تجمع بين الحركات والاصوات معاً بحيث يمكننا مثلاً ان نرى زيداً بالعيان ونسمع صوتهُ الطبيعي كأنهُ امامنا رغماً عن بعده. وممن افرغوا الجهد في حل هذا المشكل المسيو غومون (Gaumont) وكان باشر بامتحاناته منذ السنة ١٩٠٢ فلم يزل يكرر تجاربهُ ويحسن آلاتهِ حتى امكنهُ وضع آلة يدعوها كرونفون (Chronophone) جرَّبها في العام الماضي في نادي المجمع العلمي في باريس فأتت بالنجاح التام. فانَّ رئيس ذلك المجمع بعد ان أُقفلت كل النافذ المنيرة دعا الدكتور دارسونفال الى خطاب في الطب كان وعد بهِ فقام الدكتور وخطب كمألوف عادتهِ ولم يشكَّ احدٌ انَّهُ هو بصورتهِ وصوتهِ مع انهُ كان في ذلك اليوم غائباً. وعمَّا قريب ان شاء الله ستأتينا الآلات التي تمثل امامنا جلسةً علميةً او سياسية فترينا الاشخاص وتسمعنا اصواتهم كأنَّا بينهم بل يمكننا ان نحضر تشخيص رواية لعب ادوارها ممثلو باريس وهلمَّ جرًّا

ومن الاكتشافات المفيدة وضعُ بارومتر جديد لمعرفة تقلبات الجوّ وحدوث الانواء سلفاً بواسطة التليفون. وذلك ان يُغرس في ارض موافقة لنقل الكهرباء جُزتان من الحديد الذاب على مسافة خمسة او ستة امتار الواحد عن الآخر واتا يكون الطرفُ المغروس عريضاً ليزيد بذلك مسهُ للارض. ويُمدّ بين كل جزة سلكٌ من نحاس يوصلها بسلك التليفون المتصل بآلة مولدة الكهرباء. ثمَّ يُسقى طرفا الجرزتين كل ثمانية او عشرة أيام بمحلول من كلوردرات الامونياك بنسبة ١٠ غراماً لمئة غرام من الماء. فاذا اراد الانسان ان يعرف التقلبات الجويَّة كفاه ان يصغي الى فوهة التليفون فيستدلّ عليها قبل وقوعها باثنتي عشرة ساعة الى خمس عشرة وذلك انهُ يسمع في التليفون ازيزاً كصوت البرَد عند سقوطهِ على سقف من زنك او على الزجاج وبقدر تقرّب وقت الانواء والزوابع يزداد الصوت شدَّةً. وسبب الامر ظاهر لان الحديدتين باتصال سلكيهما مع التليفون تولّدان مجرًى كهربائياً جديداً يتأثر من حركات الجوّ ويرقمها على الصفيحة التليفونيَّة فيسمعها الناصت اليها

التلغراف اللاسلكي ينال كل يوم انتشاراً عظيماً وكل الممالك تسعى في تعميمهِ

في بلادها . وقد عزمت فرنسة على ان توصل كل مستعمراتها في افريقيا والهند والصين واوقيانية بحاضرتها باريس . وتوصلها ببرج ايفل وقد باشرت بالامر مع السودان والكنغو وعمّا قليل سيتم على وفق مرامها

ومما زاد في قوة التلغراف بلا سلك اطلاق شرارات قوية من الباعث يدعونها بشرارات موسيقية تبلغ التموجات الهرتسية في الهواء الى القابل فتُسمع لها رنّات يدونها القابل فيُستدلّ بتدوينها على معانيها

وهنا يسرّنا ان نذكر ما روته الصحف الانكليزية عن اختراع حبيب عبد الرحمان خان التلغراف اللاسلكي المائي والمخترع هندي وناظر التلغراف في الله آباد بالهند امكنهُ ان يخابر بتلغرافه الدارعة التي كانت تقلّ جلالة الملك جورج على بعد مسافة ٦٧ ميلاً فجازاه الجمع العلمي الملكي في لندن بان انتخبه كعضو شرف وكذا فعلت بقيّة الجمعيات العلمية ونال من جمعيّة يوبيل فيكتوريا مكافأة قدرها ٤٠٠ ليرة انكليزية

ولا يجوز ان نسكت هنا عن تقدُّم فنّ الطيران سواء كان بركوب المناطيد والمراكب الهوائية او بتحريك الاجنحة الصناعيّة . فانّ السنة ١٩١١ تعدّ كسنة انتصار الانسان على عنصر الهواء . وفتح مملكة الفضاء . نعم قد جرت كالعام السابق عدّة حوادث مفجعة للطائرين الّا انّ هذه الحوادث كانت اقلّ عدداً من السنين السابقة فضلاً عن انّ عدد المطيّرين في ساحة الجوّ قد ازداد اضعافاً . ثم انّ المراكب الهوائية قد بلغت من الدقّة والمتانة والخفّة ما لم يكن في الحسبان وصار ركوب الهواء من الامور السهلة التي يقدم عليها القاصي والداني . ولما رأت الدول هذه النتائج خصّت قسماً من برنامجها لتسيير المراكب الجويّة والطيّارات . ولفرنسة في هذه الامور السبق على غيرها كما انّ ذويها نالوا قصبة السبق في اختراعاتهم للمناطيد وتحسينها . وقد صار معدّل ما يقطعهُ الطائر في الساعة مئة كيلومتر بنيف بل تجاوز بعضهم هذا المقدار حتى انافوا على ١٥٠ كيلومتراً في الساعة وقطع بعضهم ١٢٨ كيلو متراً في ٣٥ دقيقة

٣ الجيولوجيا والجغرافية والآثار

حدث في ١٦ تشرين الثاني زلزال ارضي قوي شعرت به عدّة اقطار في شرقي اوربا وحسّ اهل بلادنا وتأكد به الجيولوجيون ما سبقوا ووجوه قبلاً ان

الزلازل لم يعللها كما زعموا ثوران البراكين لان الجهات التي حدث فيها الزلزال لا بركان فيها حالًا وبراكينها القديمة لم تبدِ حراكاً. وتبين لهم على خلاف ذلك انهُ توجد علاقة بين الزلازل والتشققات الارضيَّة البالغة وكذلك بينهـا وبين الاماكن حيث القشرة الارضيَّة اخفّ واضعف

وكذلك اثبت الفلكي السويسري برون انَّ ما يُشاهد من الابخرة فوق البراكين المتقدة لم تقذفهُ تلك البراكين من باطن الارض كما ظنوا وانَّما تتكوَّن فوقهـا من دقائق الكلوردريدرات المصهورة فاذا رماها البركان في جملة حممهِ امتصَّت الماء الجوّي فظهرت على شكل ضباب مائي

وممَّا افادت البعثة الفرنسويَّة الى بلاد نيجر انها فحصت بكل تدقيق بحيرة تشاد فتحققت انَّ تلك البحيرة لم تكن بحرًا قديماً في وسط افريقيـة كما زعموا بل ثبت انَّها ليست حوضاً مائياً ثابتاً بل هي منفذ لمياه تأتيها فتمتدّ في حوضها ثمَّ تغور في الارض وتواصل سيرها الى الجهات الشماليَّة الشرقيَّة حيث تظهر على مسافة ٤٥٠ كيلومترًا من بحيرة تشاد. والمظنون انَّ تلك المياه تجري حتى ينابيع النيل فتنصبّ فيها

افادتنا المجلّات الايطالية ان البعثة العلمية الايطالية المرسلة مؤخرًا الى طرابلس الغرب اخذت تبحث عن آثار تلك البلاد المجهولة فما توفقت اليهِ اكتشافها قريباً من عين زاوة مقبرة نصرانية راقية الى القرن السادس او اواخر الخامس. فهناك عدَّة قبور نُقرت عليها فضلًا عن اسماء الموتى رسوم الصليب المقدَّس على هيئات شتى ونقوش نصرانية اخرى وشعائر دينية بالنصوص اللاتينية فبعضها مكتوب عليها التريساغيون «قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت ارحمني» وعلى بعضها ادعية من اجل الميت «فليعطك الرب الراحة الابدية ويضيءْ لك نورهُ الدائم». ووجدوا على قبر آخر «فليتقبلك السيد المسيح الذي دعاك ويحملك الملائكة في حضن ابراهيم وينتظر قريباً نشر تلك الآثار المفيدة لمعرفة احوال النصرانية في طرابلس الغرب قبل الفتح الاسلامي

٤ الكيميا

العلّامة الانكليزي جمس ديوار (J. Dewar) اوّل من توفّق الى تحويل غاز الاوكسيجين الى مائع سيال ضارب الى الزرقة وبفضلهِ دخل هـذا الجسم في عالم

الصناعة. وها هوذا قد تمكن في العام المتصرم من تجميد هذا المائع وذلك بالآلات المبرِّدة التي تجمع بين تمديد الغاز بدون ضغطه وبين تبخيره . وكل يعلم ما للاوكسيجين من المنافع الجمَّة لحياة الحيوان والنبات ودخوله في التركيبات الكيميويَّة . ولا ريب انَّ تجميدهُ يأتي بفوائد جديدة لا تُحصى سوف تنقلهُ الينا الجرائد

وكذلك جمَّدوا بالطريقة عينها جسماً آخر وهو السيَّال الانيدريد الكربونيك فظهر على صورة قطع ثلج صوفي درجة برده ٧٩ تحت الصفر من المقياس المئوي. واذا ضُغط في قالب بسرعة قبل ان يعود سيالاً بفعل الحرارة اصبح كقلم يُرَوَّنهُ على بثور الجلد والحبوب الناتئة فيه فبعد قليل يزيلها تماماً . والامل معقود على استعمال هذه الاقلام قريباً لعلاج عدَّة امراض جلديَّة

وكان الهيليوم الغاز الوحيد الذي لم يمكن الكيميويين ان يجعلوهُ سيالاً لكنهم لم يزالوا يضاعفون البحث ويجهدون النفس في ايجاد طريقة الى ذلك حتى فاز بالمرغوب العلَّامة كامرلنغ اونس (Kamerlingh Onnes) فسيَّلهُ بعد ان انزل درجة حرارته الى ٢٦٨ تحت الصفر بواسطة الادوات الضاغطة مع خلو الغاز وتبخيره

وهذه الآلات المبردة العجيبة قد افادت الكيميويين معرفة تركيب الاجسام فبيّنوا ان لدقائقها قوَّة تزداد مع زيادة الحرارة وتنقص مع نقصها حتى اذا بلغت الى الدرجة ٢٧٣ تحت الصفر بلغت درجة البرد المطلق وفقدت كل قوَّة وفعل

• الطب والجراحة

انَّ الحمى التيفوئيديَّة من افتك الادواء بالبشريَّة ولاسيا في الجند. فكان كثيرون قد سعوا في اكتشاف لقاح واقٍ منها فاكتشف الدكتور الانكليزي جنير لقاحاً احط عدد الوفيات الى ثمانية في الالف . ثم وجد الدكتور رَيت لقاحاً آخر افضل من لقاح جنير ظهرت افادتهُ بتقليل عدد الاصابات. وفي العام الماضي وقف الدكتور الفرنسوي شَنْتمِسّ على لقاح ثالث يفوق على السابقين لم يكد يُصاب بالحمى التيفوئيديَّة احد ممن لُقّح به . قيل ان بين ٤٣,٠٠٠ الف جندي اميركي أُجري فيهم التلقيح لم يُصب بتلك الحمى الّا اربعة فقط وكان شفاؤهم سهلاً جداً . فهذا ما حدا باميركة ان تجعل التلقيح من ذلك الداء اجبارياً في جنديتها . وقد انشأ المسيو شنتمس في باريز معهداً للتلقيح مجّاناً

قد تمكن الدكتوران ملتزر (Meltzer) وأور (Auer) بطريقة نفخ القصبة ان يجعلا الرئة خالية من كلّ حركة مع بلوغ الهواء اليها فتحت هـذه الطريقة باباً جديداً للاعمال الجراحية حتى انّ الجراحين صار يمكنهم ان يفتحوا الصدر ويعالجوا القلب والرئة وما يتصل بهما من الشرايين والعروق دون ضرر البتة بل فتحوا الرئة واخرجوا ما فيها من الفضلات وعبيط الدم الفاسد وامكن الدكتور كارل (Carel) ان يجعل بدلاً من بعض القطع السقيمة غيرها يأخذها من الاقسام السليمة

مطبوعات شرقية جديدة

TARAFA'S MO'ALLAQA. Mit dem Kommentar des ABU BEKR MOHAMMED B. EL QASIM EL-ANBARI. Herausg. v. O. Rescher. *Stanbul*,1329/1911, *Impr, Nefaset*, pp.,X-140

شرح معلقة طرفة لابن الانباريّ

معلقة طرفة من اجود ما انتجتهُ قريحة شعراء الجاهليّة . فلذلك عُني اللغويّون بضبطها وشرحها . وكان المولعون من الاوربيين بالشعر العربي نشروا سابقاً اربعة شروح لهذه المعلّقة فطبع رَيسك (Reiske) سنة ١٧٤٢ شرح الشيخ النحّاس وطبع فولرس (J. A. Vullers) سنة ١٨٢٩ شرح الزوزني . وطبع العلّامة شرل لايال (S. C. Lyall) سنة ١٨٩١ شرح التبريزي . وطبع الاديب مكس سَليغسون (Seligsohn) سنة ١٩٠٠ شرح الاعلم الشنتري في جملة ديوان طرفة . فكان بقي هذا الشرح لابي بكر محمد بن القاسم الانباري احد كبار اللغويين من القرن الرابع للهجرة فوجد شرحهُ جناب الاديب ريشر في مكاتب الاستانة فنقلهُ عن ثلث نسخ هناك منها نسخة ترتقي الى السنة ٥٢٥ هـ (١١٣١م) ونشرهُ في مطبعة نفاست في الاستانة مع مقدّمات مفيدة من اخبار طرفة لابن الانباري وزاد في آخرها روايات واصلاحات عن كتب الادباء المطبوعة . فجاءت طبعة غاية في الضبط . وكنّا احببنا لو صدّر المؤلف هذا الشرح بنقد علميّ لهذه المعلقة لبيان صحتها وفوائدها التاريخيّة ووصف النسخ التي تتضمنها فكانت زادت بذلك محاسنها . وكان ينبغي

ايضاً ان تُتَّخذ لطبع ابيات المأتة حروف اكبر واشرق لتمتاز عن الشروح الواسعة التي هناك ٠وان شاء الله ينفل بطبعة ثانية ل٠ش

A. L. M. Nicolas, ESSAI SUR LE CHEIKHISME : fasc. III, La Doctrine, *Paris, Leroux*. 1911, p. 69= fasc.IV,La Science de Dieu, LI-97, *Paris, Geuthner*. 1911 = Le Béyan Persan, T. I. ibid. XXXII-148, 1911

كتابان عن مذهب الشيخية -- كتاب البيان للسيد الباب

المسيو نيقولا قنصل فرنسة في تبريز قضى سنين طوالًا في بلاد العجم وتعلّم لغتهم ودرس الآراء والبدع الجديدة التي تتنازع دينهم نخصّ بالذكر الطريقة الشيخيّة التي سنّ مناهجها الشيخ احمد الاحسائي والطريقة البابيّة مع كل ما تفرّع منها٠ وقد نقل الى اللغة الافرنسية كثيرًا من المقالات التي نشرها هذان المبدعان وقوم من اللاذين بهما فجاءت كتبهُ مفيدة للمتدين٠ وها قد اتحفنا بترجمة القسم الاوَّل من كتاب البيان للسيد علي محمد الملقب بالباب وهو مؤلّف غريب في بابهِ٠ ولو اردنا البحث في هذه المواضيع لاتّسع بنا المجال واشكلت علينا الحقيقة لان البساطة والصراحة ليستا من صفات هذين الكاتبين فاذا ما طالعتَ الفصول برمّتها واردت ان تستخلص حقيقة معتقدهما لرأيت نفسك مرتبكًا متردّدًا بين الصدق والضلال فلا تدرك منهما مرادًا ولا تكشف الرغوة عن الصّريح٠ وليس حضرة ناشر هذه المؤلفات باصرح من اصحابها في نتيجة ابحاثهِ٠ فانهُ لم يأتنا بما كنّا نودّ الاطلاع عليهِ من خلاصة هذه الاديان وعقائدها وآدابها الى غير ذلك مما لا يزال سرًّا مخفيًا او لغزًا مبهمًا ويشمّ منهُ رائحة مذهب الحلول

لهجة الابطال

للدكتور سليمان غزاله

طبع في مطبعة الشركة العثمانية في القسطنطينية سنة ١٣٢٩ (ص ٧٧)

انّ الحوادث التي جرت قبل ثلاث سنوات بالانقلاب العثماني من شأنها ان تشحذ قرائح الشعراء لكتابة رواية مفجعة تحرّك في قلوب كل ابناء الوطن ارقّ العواطف واشرف الاحساسات فيتألم العموم من زعماء الدستور كيف يضحّون على هيكل الخير العامّ كل النافع الشخصيّة٠ وذلك ما حدا بواطننا الاديب والشاعر المجيد

الدكتور غزاله من اصدق عمّال الدولة العليّة الى ان يصوّر ذلك الانقلاب ويسبكهُ في قالب رواية تمثيليّة جعلها ثلاثة فصول: اظهر في الاوّل منها حالة الدولة تحت ربقة الاستعباد معرّضة لاصناف المصائب وكيف تألّف الاحرار لكسر نيرهـا. وشخّص في الثاني في صورة ارواح شريرة من تصدّوا لعمل الاحرار. وضمّن الثالث انتصار الدولة العثمانيّة بجلوس جلالة السلطان محمد الرشاد على سدّة الخلافة. وهذه الرواية قد اوقف المؤلف بيعها وتشخيصها لنفعة جمعيّة الهلال الاحمر وصدّرها بصورة فتاة تركيّة تشير الى الراية العثمانيّة في وسطها نجم السعد فيردّد لسان حالها احد ابيات الرواية:

هلالٌ يُرجّيني ونجم يدلّني الى منتهى السرّاء عهد السعادةِ

ومن محاسن الكتاب ١٢ صورة فوتغرافيّة تمثّل زعماء الدستور العثماني في مقدّمتهم جلالة السلطان ل.ش

رسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني

عُني بجمعها ونشرها والتعليق عليها الاديب حسن حسني عبد الوهاب التونسي

طبع بمطبعة المقتبس في دمشق سنة ١٣٣٠هـ (١٩١١ م)

ابن شرف القيرواني احد مشاهير أدباء القرن الخامس للهجرة في المغرب كان معاصراً لابن الرشيق صاحب العمدة وجرت بينهما مناقضات ومهاجيات اشتهرا بها. ولابن شرف آثار قليلة صبرت على آفات الدهر لم يُنشر منها الّا بعض متفرّقات كهجوهِ لدار ابتناه في مجاني الادب (٣: ١٥٣). وممّا وقف عليه من كتاباته الجليلة احد ادباء تونس حسن حسني عبد الوهاب رسالة انتقادية ذات مقاصد ظريفة ومنازع شريفة نسبها الى ابن الريّان الصلت بن السكن بن سلامان تتناول نحو ٣٠ صفحة انتقد فيها انتقاداً لطيفاً على معظم شعراء الجاهليّة وقرون الاسلام الاولى فمدح مـا رآه اهلاً بالمدح وزيّف اقوالاً كثيرة يتدحها البعض دون روية. ودونك مثالاً من نقدهِ لبيت شهير من قصيدة زُهير التي مدح بها حصن بن حذيفة

« قال ابو الريّان: وقال زهير ايضاً وهو من اطيب شعرهِ والمحو عند العامّة وكثير من الخاصّة فهاهنا تحفّظْ وتأمّل ولا يحلك ذلك منهم (كذا) الحقّ ابلج قال:

تراهُ اذا ما جئتهُ متهلّلا كانك تعطيهِ الذي انت سائلهُ

مدح بها شريفاً ايّ شريف فجعل سرورهُ بقاصدهِ كسرورهِ بمن يدفع شيئاً من عرض

الدنيا اليه. وليس من صفات النفوس العارفة السامية والهمم الشريفة العالية اظهار السرور الى ان تتهلل وجوهم وتُسرّ نفوسهم بهبة الواهب ولشدّة الابتهاج بعطية المعطي بل ذلك عندهم سقوط همّة وصغر نفس وكثير من ذوي النفوس الدنية والاخلاق الرثية لا يظهر السرور متى رُزق مالًا عفوًا بلا منّة منيل ولا يد معط مستطيل لانهُ عند نفسهِ اكبر منهُ ولأن قدر المال يقصر عنهُ فكيف ان يُمدح ملك كبير كبُر القدر عظيم الفخر بأنّهُ يتهلل وجههُ ويجلل سرورًا قلبهُ اذا اعطاهُ سائله مالًا. هذا نقض البناء ومحض الهجاء. والفضلاء يفخرون بضد هذا قال بعضهم:

ولستُ بفراحٍ اذا الدهرُ سرّني ولا جزعٍ من صرفهِ المتقلّبِ

وانّما غرّ زهيرًا وغرّ المتحسن بيتهُ هذا ما جُبلوا عليهِ من حبّ العطاء وما جرت بهِ عاداتهم من الرغبة في الهبات والاستجداء. وليس كلّ الهمم تستحسن ذلك ولا كلّ الطباع تسلك هذا المسلك »

فنعم الانتقاد وشكرًا لناشر هذه الطرفة المستطرفة ل. ش

ملقى السبيل : رسالة في الوعظ والحكم لابي العلاء المعرّي

عُني بنشرها والتعليق عليها الاديب حسن حُسني عبد الوهّاب التونسي.

طبع بمطبعة المقتبس في دمشق سنة ١٣٣٠ (ص ١٨)

انّ تآليف ابي العلاء المعري ممّا يتهافت عليهِ الادباء سواء كانت شعرًا كسقط الزند ولزوم ما لا يلزم او نثرًا كرسالة الغفران وهم يطنبون في ابتكار معانيها ويبحثون عن خفي اغراضها فمنهم من يوجّه الى صاحبها سهام الملام لما يُستشف وراء اقوالهِ من الالحاد ومنهم من يزكيهِ (راجع مقالتنا في ترجمة ابي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء في المشرق ٤: ١٠٦٨) والكلّ لسان واحد في مدح بلاغتهِ. فسرّنا انّ الاديب حسن حسني عبد الوهاب استخرج ايضًا هذه الرسالة المعرّية من زوايا الكاتب فنشرها وعلّق عليها الحواشي المفيدة مع مقدّمة اشار فيها الى مذهب المعرّي الشبيه بمذهب التشاؤم المستمر (Pessimisme) الذي عُرف بهِ الجرماني شپنهاور (A. Schopenhauer). وهذه الرسالة منقولة عن نسخة فريدة موجودة في مكتبة الاسكوريال جمع فيها المؤلف حكمًا نثرية في كل باب من حروف المعجم ألحقها بنظمها شعرًا. هذا مثال باب الباء:

«يفتقر الى الله الارباب. وبالكافر يحلّ التّباب. وتنقطع بالموت الاسباب. وفي الخالق تحار الالباب

نظمهُ (رجز)

دانت لربّ الفلك الالبابُ وبالكفور يلحقُ التبابُ
كم قُطعت لبنة اسبابُ وافترقت برغمها الاحبابُ »

وهنا يحسن بنا ان نشير الى رسالتين أُخرَيين للمعرّي نُشرتا حديثاً. فالاولى رسالة مناهل الشكران في دعوات رسالة الغفران زكى فيها نفسهُ عمّا نُسب اليهِ في رسالة الغفران من التساهل وخصّ نفسهُ بالمغفرة ودخول الجنة بسبب تلك الكتابة. طبعت هذه الرسالة في مطبعة العدل في الاستانة بهمّة جامعها محمّد صفا بك. والثانية رسالة التذكرة نشرها المسيو كولين (Gabriel Colin) من اساتذة مدرسة الجزائر في العام الماضي وقدّم عليها المقدّمات المفيدة ونقلها الى الافرنسيّة وهذه التذكرة كتبها المعرّي لابنهِ المسمى ابن زهر يذكرهُ فيها اموراً جديرة بالطبيب من معرفة الادواء ومعالجاتها. والرسالة طبعها حديثاً في باريس الطبّاع لورو (E. Leroux) ل. ش

مرشد الكاهن في ممارسة الرياضة الشهريّة

طبع في بيروت في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩١٢ (ص ٦٢)

جاء في سفر الخروج (١٩ : ٢٢) « ليتقدّس الكهنة الذين يتقدّمون الى الرب كيلا يبطش بهم » وهي نعم الوصاة ينبغي على كل الكهنة ان يمعنوا فيها النظر ليقدّسوا كل يوم نفوسهم ويكونوا قدوة لجميع المؤمنين. ومن الوسائل الحسنة المؤدية الى ذلك عادة محمودة يجريها الكهنة الصالحون في بلاد عديدة ألا وهي عادة الرياضة الشهرية اذ يعتزلون يوماً معلوماً من ايام الشهر يقضونهُ بمناجاة الله والاعمال التقويّة والنظر في واجباتهم مع اصلاح ما يرون فيهِ خللًا في سيرتهم فيجدّدون بذلك عزائمهم على اتمام فرائضهم بكل حرص ونشاط . فتسهيلًا لهذه الرياضة قد وضع احد مرسلي رهبانيتنا هذا الكتاب الصغير الحجم الوافي بالمقصود اذ يفصّل الممارسات الموافقة لذلك اليوم فنحثّ سائر الكهنة على الانتفاع منهُ ل. ش

خدمة السبت العظيم

طبع بالمطبعة الادبيّة. بيروت سنة ١٩١٠ (ص ١٢٨)

هذه الخدمة تُقام في يوم سبت النور في الكنيسة اليونانيّة تحتوي الطقوس الجارية في ذلك النهار لاسيا رتبة الدفن ثم التسابيح المفرحة التى تتقدّم عيد القيامة

في الفصح العظيم. قد طبعها صاحب مكتبة التوفيق تسهيلًا لمراجعة تلك الصلوات التقويَّة المنقولة في الغالب من اقوال الكتاب المقدّس وآباء الكنيسة المقدَّسة. ويا ليتهُ كان وسَّع نطاق عمله فطبع خدمة كل اسبوع الآلام لينال المؤمنون فوائدهُ ويبتغوا في قلوبهم تعاليمهُ السامية ل. ش

اللغة العربية

بحث تاريخي فلسفي للاستاذ جبر ضومط

طُبع في المطبعة الادبية سنة ١٩١٣ (ص ٢٣)

جناب الاستاذ جبر ضومط احد القليلين الذين يبحثون في بلادنا عن اصول اللغة العربيَّة وما لها من العلاقة مع اللغات الشقيقات التي شاعت في جزيرة العرب او البلاد المجاورة لها. وهاهوذا اتحفنا بخطاب القاه في تشرين الثاني في المدرسة الكليَّة الاميركانية خاض فيه عباب البحث عن اللغات السامية وتشعُّبها الى فرعين قحطاني فعادي مع بيان نسبة العربية الى ما دون ذلك. وقد تتبَّع كل هذه الابحاث باباً باباً سابراً مزاعم المستشرقين مصوِّباً لبعضها ومزيِّفاً لغيرها وهو يأتي لاثبات اقوالهِ بالادلة العقلية والنقلية التي ترجّح قولهُ على قولهم. ولا نشكُّ في انَّ علماء اوربا يقدّرون هذا الاثر قدرهُ لاسيما اذا نُقل الى احدى اللغات الاوربية ل. ش

مطوَّل في انشاء المكاتيب

بقلم امين الخوري صاحب مكتبة مطبعة الآداب

الطبعة العاشرة (ص ٢٣٠)

كان صاحب هذا الكتاب ألَّف سابقاً مختصراً في الانشاء اصاب رواجاً فاحبَّ ان يتَّسع فيه ويضيف اليه رسائل جديدة. وقد زاد فيه فصولًا في المرضحالات والتحاويل والكمبيالات ثم باباً في الفرائض وصور معاملات شتى شرعيَّة وتجاريَّة ثم نقل عدَّة رسائل لقدماء الكتَّاب والمحدثين مع مختارات من نخبة الرائد للمرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي وختمهُ بمقاطيع نثريَّة في مواضيع ادبيَّة شتَّى. مجموعاً واسعاً اغنى بالموادّ منهُ بحسن الاختيار لانَّ كتاباً مدرسيًّا مثل هذا لا يجوز ان يتضمَّن رسائل عشقيَّة كما ترى (في الصفحة ١٠٣) واستدعاءات بازالة بكارة جبراً (ص ١١٢) وفرائض هي اجرى بكتب الشرع. ولا نعلم ماذا حمل نصرانيًّا مثلهُ على ان

ينقل في الفصول النثرية الاخيرة اقوال القرآن والحديث كأنهُ اراد بذلك التقرُّب من المسلمين فلن يرضي بهِ لا المسلمين ولا النصارى سامحهُ الله ل.ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ منشور عوي وجَّههُ غبطة السيّد الجليل مار يوسف عمانوئيل الثاني بطريرك بابل على الكلدان الى الطائفة الكلدانيَّة بمناسبة دخول السنة الجديدة ١٩١٢ طبع في الموصل (ص ١٦)

٢ رسالة رعائيَّة الى الاكليروس والشعب اللاتيني في نيابة حلب لنيافة القاصد الرسولي السيد فريديانو جنّيني بمناسبة الصيام الاربعيني لسنة ١٩١٢. الكاثوليكي الصادق. في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ٢٣)

٣ رسالة رعائيَّة وجّهها غبطة السيد البطريرك الياس بطرس الحويك الكلي الطوبى الى ابناء الطائفة المارونيَّة. موضوعها حضُّهم على الاستمساك الدائم بدين اجدادهم القويم. في المطبعة الكاثوليكيَّة في بيروت (ص ٣٧)

شَذَرَاتٌ

محفل صنين ✠ وردت علينا من حضرة المسيو بطرس حبيقة قصيدة جميلة وصف فيها جبل صنين ثم انتقل الى وصف فاجعة محفل صنين الماسوني الذي طيَّرت منعاهُ جريدة البرق كما نقلناهُ عنها فقال:

سلوا محفل الاحرار عمَّا دهاهمُ ... بصنّين حتى بات بالقوم ِ بلقعا
بنى فيهِ احلافُ التفرُّق والنوى ... وهيهات بعد اليوم ان يتجمَّعا
قضى القدرُ الجاري عليه بحتفهِ ... فطيَّر منعاهُ لنا البرقُ مذ نعى
كذا حالة الدنيا اجتماعٌ وفرقةٌ ... فلا تبكِ ميتاً او تعزِّ مفجَّعا
كفى انَّ بعضاً بات بالبعض شامتاً ... فان تدعُهم لا ينصتون لمن دعا
تبلبلت الدنيا بهم فتبلبلوا ... فأجرت عليهم بابلُ الشرق ادمعا
فليسوا ببنَّائين فيا علمتهُ ... وقد ضعضعوا في برجهم فتضعضعا
اصابهمُ من رأسهم ما اصابهُ ... فاعضاؤهُ فيها الفسادُ توزَّعا
ألا ان هذا الداء عزَّ دواؤهُ ... فيا سائلي بُرءًا لهُ لذْ بأنجعا
تحكَّمَ في الشرق السقام فلا تكن ... طبيباً وكُنهُ شعوذياً مرقِّعا
فما الحال الَّا ان ترقَّ لحالهِ ... وما الطبُّ الَّا في عفا الله او رعى

تولى بهِ الاصلاحَ غيرُ رجالهِ … وراموا بهِ التفريق فافترقوا معا
ولم تُنجدهم حرّيّة غادرَتهم … عبيد الهوى واستنفرَتْ كل اروعا
ومن لم يكن حرًّا من الطبع ماجدًا … ولو عالجوهُ لم يكنهُ تطبُّعا
ومن لم يكن ذا حُجّةٍ اصبيّةٍ … يهون عليهِ ان يضلّ فيُخدَعا
ومن لا يراعِ الصنو يخذلهُ صُنوهُ … ومن يسعَ في مكرٍ فللمار ما سعى
ومن يتقلّب فهو صِلٌّ زمانه … فحاذرهُ لا تمدُدْ الى الصلّ اصبعا
ومن حاول الايقاع بالناس اوقعوا … بهِ فهو عندي مصرعٌ جرّ مصرعا

جدول طلبة المدارس في الدولة العثمانية — وقفنا في مجلة الابحاث على هذا الجدول المتضمن لعدد طلبة المدارس في ولايات الدولة العثمانية لسنة ١٣٢٥ فنثبتهُ هنا على علّاتهِ ليُستدلّ بهِ على حالة التعليم في تركيا:

الولايات	عدد السكان	عدد الطلبة	الولايات	عدد السكان	عدد الطلبة
ادرنة	٦٥٤,٦٣٦	١٠٥,٧٧٤	دردنيل	١٤٠,٠٠٠	١٦,٥٢٥
ارخبيل (سفيد)	٣٠٠,٠٠٠	٣١,٣٤٠	ديار بكر	٤٧٣,٢٤٦	١٠,٣٨٣
ارزروم	٦٤٧,٠١٠	١٩,٦٩٣	الزور	١٠٠,٠٠٠	٣٩٩
الاستانة	١,٢٠٠,٠٠٠	٥٠,٠٠٠	سالونيك	١,٠٢٨,٤٢٢	٩٨,٥٤٧
اسد	٢٧٠,٠٠٠	٣٥,٦٥٠	سورية	٥٥٦,٩٠١	٢٢,٧٤٥
اشقدار	٢٠٠,٠٠٠	٥,١٦٤	سيواس	١,٠٨٧,٥٥٥	٨٣,٣٧٣
آطنه	٤٣٤,٢٨١	١٧,٧٤٩	شاتلجا	٦٠,٠٠٠	٨,٣٠٠
انقره	٨٥٠,٠٠٠	٣١,٠٨١	طرابزون	١,٢٥١,٧٤١	١٢٥,٩١٧
آيدين	٦٢٠,٤٠٧	١٧٩,٧٨٣	طرابلس الغرب	٥٠٠,٠٠٠	١٣,٣٧٥
بتليس	٢٩٨,٩١١	١١,٠٩٣	القدس الشريف	٧٠,٠٠٠	١٠,٤٩٣
بروسه	١,٥٠٠,٠٠٠	١٣٧,١٩٨	قسطموني	٩٧٠,٦٩٣	٩٤,٠٨٤
البصرة	١٥٠,٠٠٠	٣,٦٨١	قونية	٩٨٤,٠٦٣	٧٨,٩٥٣
بغداد	١٩٢,٠٠٦	٥,٣٢٠	كوسوفو	٨٦٥,٤٤٥	١٥,٦٩٥
بنغازي	٢٠٠,٠٠٠	١,٦٥٣	معمورة العزيز	٥٧١,٧٦٤	٢٣,٦٥٣
بيروت	٦٤٨,٨٠٢	٣٨,٥٧٦	مناستير	٨٤٠,٤٥٤	٦٤,٠٧٦
جانينا	٦٥٠,٠٠٠	٣٥,٦٥٠	الموصل	٣٠٠,٢٨٠	٦,٦٩٩
حجاز	?	?	وان	٤٣٠,٠٠٠	٤,٠٤٣
حلب	٨١٧,٧٤٠	٤٣,٠٨٠	اليمن	?	?
			المجموع	١٩,٢٦٦,٢٥٨	١,٤٦٣,٣٧٣

اسئلة واجوبة

س سأل مستفيد من حمص من هم الحثيون الذين يقال عنهم انهم ملكوا في جهات حمص وحماة وحلب

الحثيون

ج الحثيون امة عظيمة كانت اولًا في جهات قبادوكية و كانت عاصمتهم في المكان المعروف اليوم ببوغازكوي حيث وجد العلّامة ونكلر (Winckler) عدّة آثار عجيبة راقية الى زمانهم ثم زادت قوّتهم حتى غزوا بابل نحو ١٨٠٠ قبل المسيح وابطلوا السلالة البابليّة الاولى. وفي القرن الخامس عشر فتحوا البلاد المجاورة لهم حتى البحر الاسود شمالًا وتجاوزوا نهر العاصي الى دجلة جنوباً وذلك في عهد ملكهم سوبيلولو. وغزاهم رعمسيس الثاني فغلبهم لكنهم بقوا في ملكهم حتى قهرهم الاشوريون في القرن العاشر. ولا يُعلم كيف انتهت دولتهم

س كتب احد الكهنة السريان ما نصهُ: نجد في تقويم البشير في ٢٢ من شهر شباط ذكر كرسي مار بطرس في انطاكية فهل يُعرف شيء عن الكرسي المذكور

كرسي مار بطرس في انطاكية

ج للقديس بطرس هامة الرسل كرسيّان الواحد في رومية العظمى في كنيسة مار بطرس محفوظ الى يومنا وعيدهُ في ١٨ كانون الثاني. والآخر في انطاكية ورد ذكره في التاريخ ولم يُفِدنا احد عن بقائهِ الا يحيى بن سعيد الانطاكي صاحب الملحق لتاريخ ابن بطريق في طبعتنا الصفحة ١٢٨—١٢٩ حيث قال عن ابن مانك في تاريخ سنة ٣٥٦ (٩٦٧) انهُ بعد قتلهِ البطريرك خريسطوفورس « انفذ قوماً الى كنيسة القسيان... واخذوا الفضّة والقماش وغيرهما ... واخذوا كرسي مار بطرس وهو كرسي من خشب النخل مصفّح بفضّة وحفظوه في دار احد شيوخهم يُعرف بابن عمر ولم يزل في دارهِ الى ان ملك الروم المدينة ». ولا نعلم ما جرى لهذا الكرسي بعد ذلك

س سأل احد كهنة البقاع أيجوز للكاهن الكاثوليكي ان يحضر جناز غير الكاثوليك

ج يُعدّ حضور الجنازات من الحفلات المدنيّة التي يُسمح بحضورها للكاثوليكي. وكذلك يُسمح للكاهن الكاثوليكي ان يحضرها كالعوام دون مشاركة في صلاة او طقس ديني

ل. ش